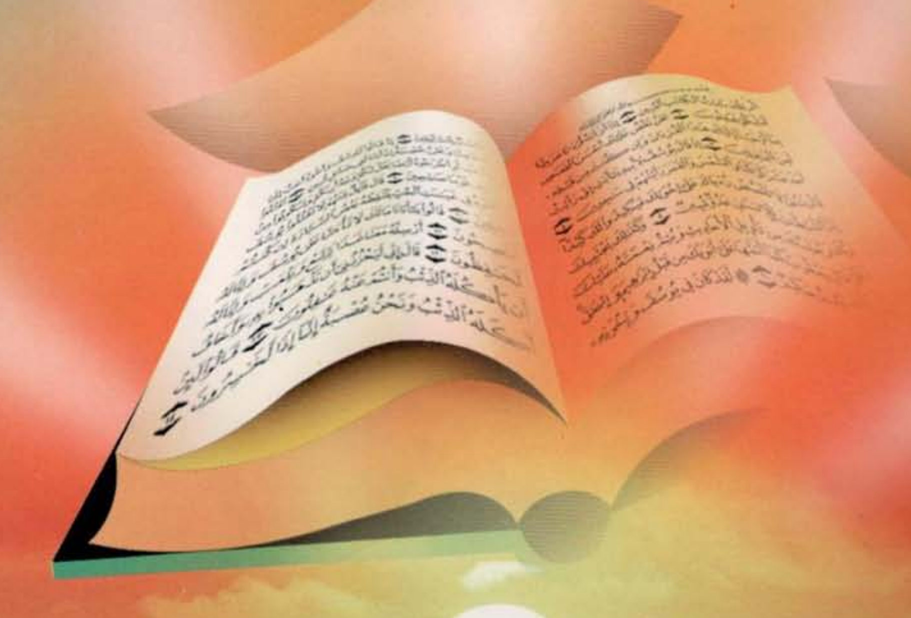سلسلة اعتدال التصوف 2

الآيات المتشابهة

بين التأويل والتفويض والإثبات



محمد عز الدين الغرياني

مقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه، ومن والاه، واهتدى بهديه، واقتدى بنهجه إلى يوم الدين.

وبعد

1. فإن المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها، يجتمعون على ثوابت في العقيدة لا يختلفون فيها، ومن هذه الثوابت:

- الإيمان بكل ما جاء في القرآن والسنة النبوية الصحيحة ﴿والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله لا نفرق بين أحد من رسله﴾[1] ﴿وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا﴾[2] ﴿وأطيعوا الله وأطيعوا الرسول﴾[3].
- الإيمان في باب الصفات بكل صفة ثبت صراحة وصف الله بها في المصدرين السابقين.

وعلى هذا المبدأ يتفق جميع المسلمين، واختلافهم حين يختلفون في بعض الصفات، إنما هو في ثبوت هذه الصفة المعينة وعدم ثبوتها، فمن ثبتت عنده آمن بها للقاعدة المتفق عليها "كل ما وصف الله به نفسه يجب اعتقاده" ومن لم

---

[1] البقرة 284

[2] الحشر 7

[3] النساء 58

تثبت عنده لم يبح وصف الله بها، ولم يجوز نسبتها إليه، استنادا إلى النص الديني ﴿وذر الذين يلحدون في أسمائه سيجزون ما كانوا يعملون﴾[1]

وإن من أسباب هذا الاختلاف النص المتشابه الذى يحتمل أكثر من معنى، والذى قد يحمله فريق على معنى لما يبدو له من تضافر النصوص، أو دلالة اللغة والسياق عليه، ويحمله فريق آخر على معنى آخر يظهر له لنفس العلل والأسباب والقواعد.

والمتأمل فى تحليلات العلماء للنصوص المتشابهة على اختلاف مشاربهم، يلاحظ أنهم متفقون فى القواعد التى يستندون إليها فى التحليل، واختلافهم إنما هو في جانب التطبيق الذى لا يمكن لأحد بعد رسول الله -صلى الله عليه وسلم- أن يدعي فيه العصمة، أو يزعم فيه انفراده بالحق والصواب، أو يرمى الفريق الآخر بالبدعة والضلال. كما قال الإمام مالك **"كل أحد يؤخذ من قوله ويرد عليه إلا صاحب القبر الشريف"**.

2. وهذا الكتاب يبرز الجانب التطبيقى والتحليلى لعقائد أهل التصوف فى الآيات المتشابهة، والتى وردت فى كتبهم، ككتاب حزب التوحيد للإمام الجزولى -من أئمة المالكية-، وككتاب عقيدة الأكابر للعارف بالله الشيخ عبدالقادر الجيلانى، وكالرسالة القشيرية للإمام القشيري، وكإلجام العوام عن علم الكلام للإمام الحجة الغزالى، وكعقيدة الشيخ العلامة الدردير -رضي الله عنهم-، وغيرها من الكتب التى صرحوا فيها بخلاصة دراساتهم لتلك الآيات، والتى قالوا فيها بنفي الحد عن الله والمكان والجهة والصوت والحروف، وأنه فى شيء، أو على شيء، أو من شيء، وأنه[2] تحله الحوادث، أو يحمله على الفعل باعث ودافع ...

3. ورغبة فى بيان عمق دراساتهم، وسعة إطلاعهم، وتمكنهم من أدوات البحث ذكرت فيه عقائد المخالفين لهم فى التحليل، وأدلتهم التى يستندون إليها

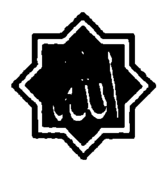
---

[1] الأعراف 180

[2] هذه الجملة واقعة فى نطاق النفي، أي نفي أن تحله الحوادث.

وتقويمها فى جانب الرواية والدراية، واتفاقها واختلافها مـــع القواعــد التـــى ينادون بوجوب التمسك بها، حتى يخرج القارئ بقناعة بـــأن أولنــك[1] الســادة العارفين ما أقاموا بنيانهم، وأسسوا مبادئهم إلا على كتاب الله وســـنة رســـوله -صلى الله عليه وسلم- وأنهم كغيرهم من أئمة هذه الأمة لم يألوا جهــدا فـــي الدراسة والبحث والتنقيب ورصد الظواهر وتمحيص الأفكار والاتجاهات.

فإن وفقت فمن الله، وما توفيقى إلا به عليه توكلت وإليه أنيب.



[1] الإشارة لعلماء التصوف

تمهيد

انقسم العلماء فى الآيات المتشابهة إلى ثلاثة مذاهب:

- مذهب يفوض المعنى إلى الله، ولا يتعرض للفظ المتشابهة لا بتأويل ولا بتفسير.

- ومذهب يؤول اللفظ المتشابه، أي يصرفه عن المعنى الظاهر المباشر إلى معان أخرى، ويستعين على هذا بالقرائن المتعددة، وبعرف الإستعمال والعادة؛ لأن التعويل فى الحكم والاستنباط على قصد المتكلم ومراده.

ومراده يظهر أحيانا من اللفظ نفسه، وأحيانا من العلامات والقرائن المصاحبة، فمراد المتكلم من قوله: رأيت أسدا، غير مراده من قوله: رأيت أسدا يخطب على المنبر، ففى الأول يقصد الحيوان المفترس بدلالة لفظ الأسد، وفى الثاني يقصد الرجل الشجاع بدلالة القرينة "يخطب على المنبر".

ومن عرف مراد المتكلم بدليل من الأدلة وجب -عليه- اتباع مراده، والألفاظ لم تقصد لذواتها، وإنما هي أدلة يستدل بها على مراد المتكلم، فإذا ظهر مراده ووضح بأي طريق عمل بمقتضاه، سواء كان بإشارة، أو كتابة، أو بإيماءة، أو دلالة عقلية، أو قرينة حالية، أو عادة مطردة"[1].

- ومذهب يفسر المتشابه بالظاهر الحرفى للفظ مع الدعوة إلى عدم التمثيل والتشبيه.

فالقدم فى قوله صلى الله عليه وسلم: ((لا تزال جهنم تقول هل من مزيد، حتى يضع رب العزة فيها قدمه، فتقول قطْ قطْ وعزتك، ويزوى بعضها إلى بعض))[2] يؤمن بها المذهب الأول، لأنها واردة فى السنة الصحيحة، من غير

---

[1] أعلام الموقعين218,1

[2] اللؤلؤ المرجان فيما اتفق عليه الشيخان -البخارى ومسلم- 1810

أن يخوض فيها ببحث أو تفسير أو بيان، ويؤولها المذهب الثانى بما أولها به أئمة السلف الصالح:

- قال الحسن البصرى: القدم فى الحديث هم الذين قدمهم الله من شرار خلقه وأثبتهم لها.
- وقال البيهقى عن النضر بن شميل: القدم هنا الكفار الذين سبق فى علم الله أنهم من أهل النار.
- وقال الأزهرى: القدم الذين تقدم القول بتخليدهم فى النار.
- وقال ابن الأعرابى: القدم المتقدم، وكل قادم عليها يسمى قدما[1].

واستعان فى تحليله هذا بالقرينة الشرعية ﴿لأملأن جهنم من الجنة والناس أجمعين﴾[2] التى تفيد صراحة بأن الامتلاء لجهنم سيكون بالمخلوقات لا بغيرها، ولهذا فيجب تأويل القدم حتى لا تصطدم النصوص وتتعارض، قال ابن حزم: إن الاسم إذا تيقنا بدليل نص أو إجماع أو طبيعة، أنه منقول عن موضوعه فى اللغة إلى معنى آخر، وجب الوقوف عنده[3].

ويفسرها المذهب الثالث بأن لله قدما على ما يفيده ظاهر الحديث، لكنها ليست كأقدامنا للقرينة الشرعية ﴿ليس كمثله شيء﴾[4]

ويمثل المذهب الأول على حسب نقل كثير من العلماء غالب السلف الصالح من الصحابة والتابعين وتابعيهم، ومن سار على نهجهم، قال حنبل: قيل لأبى عبدالله -يعنى الإمام أحمد-: ينزل الله إلى السماء الدنيا؟ قال: نعم. قلت: نزوله بعلمه أم ماذا؟ قال: اسكت عن هذا، وغضب غضبا شديدا[5].

---

[1] دفع شبه من شبه وتمرد للإمام تقي الدين الحصنى 12

[2] السجدة 13

[3] الأحكام فى أصول الأحكام 531,4

[4] الشورى 9

[5] الصواعق الإلهية 478 و 482

وقال الإمام الشافعي عن قوله تعالى: ﴿الرحمن على العرش استوى﴾[1]: إن هذه الآية من المتشابه التي يحار في الجواب عنها وعن أمثالها لمن يريد التبحر في العلم. أي يمر بها كما جاءت، ولا يبحث عنها، ولا يتكلم فيها لأنه لا يأمن الوقوع في الشبهة والورطة إذا لم يكن راسخا في العلم[2].

ويمثل المذهب الثاني غالب علماء السنة من الأشعرية والماتريدية.

ويمثل المذهب الثالث طائفة من العلماء على رأسهم ابن تيمية وابن القيم.

وكانت الشهرة لمذهب التأويل مذهب الأشاعرة والماتريدية، الذى دان به العلماء والصالحون والصوفية المتقون فى مشارق الأرض ومغاربها، والذى اعتنقه الجامعات الاسلامية العريقة، كالأزهرالشريف والزيتونة، والقرويين، وفى بلاد العراق، وما وراء النهر.

وقد خاصم ابن تيمية وتلميذه ابن القيم مذهب التأويل، وأوليا هذه المخاصمة عناية فائقة، استغرقت شطرا من عمرهما، بذلا فيه أقصى طاقاتهما الذهنية والفكرية، واستندا فى هذه المخاصمة على:

- أن التأويل يخالف القرآن والسنة والإجماع ومذهب السلف.
- أن التأويل يؤدى إلى التعطيل، أي تعطيل الذات عن الصفات الموصوفة بها، وتعطيل حقائق الألفاظ حين تصرف عن ظواهرها، والتعطيل قادح فى عقيدة التوحيد، لأن فيه تحريفا للكلم عن مواضعه.
- أن التأويل يستند على المجاز، والمجاز لا يوجد فى اللغة والشريعة، ولم يقل به أحد، لا من أهل الفقه والحديث والتفسير، ولا من أهل اللغة، لا أحمد، ولا مالك، ولا أبو حنيفة، ولا الشافعى، ولا خليل، ولا سيبويه، ولا عمرو بن العلاء، ولا غيرهم، وإنما هو اصطلاح حادث، جاء من جهة المعتزلة ونحوهم من المتكلمين[3].
- أن التأويل يؤدى إلى القول بالمجاز، والمجاز كذب لصدق نفيه.

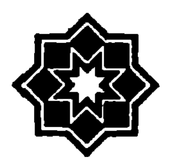
---

[1] طه 4

[2] الفقه الأكبر ص17

[3] الايمان 84

- أن التأويل يعتمد على القول بالوضع الأول، ولا يوجد ما يدل على أن فى اللغة وضعا أولا استعملت فيه الكلمة، ثم نقلت منه إلى معنى آخر على سبيل المجاز، ومن ادعى ذلك فهو مبطل، فإن هذا لم ينقله أحد من الناس[1].
- أن التأويل يعتمد على المجاز، والمجاز تقسم فيه الألفاظ إلى مستعمل فيما وضع له، وإلى مستعمل فى غير ما وضع له، وهذا التقسيم فاسد، لأنه يتضمن إثبات الشيء ونفيه. إلى غير هذا من الاعتراضات التى أوردها ابن تيمية فى كتبه، وابن القيم فى كتابه "الصواعق المرسلة"، والتى ناقشها العلماء قديما وحديثا، والتى سيأتى الجواب عن أهمها إجمالا وتفصيلا.



---

[1] انظر مجموع الفتاوى 7,90–91

التقويم الإجمالي

أ. الصرف عن الظاهر حين توجد القرينة أمر نبهت عليه الشريعة، كما جاء في حديث حاتم -رضي الله عنه- الذي قال: ((أتيت رسول الله -صلى الله عليه وسلم- فعلمني الإسلام، ونعت لي الصلوات، كيف أصلي كل صلاة لوقتها، ثم قال -أي الرسول -صلى الله عليه وسلم-: ((إذا جاء رمضان فكل واشرب، حتى يتبين لك الخيط الأبيض من الخيط الأسود من الفجر، ثم أتم الصيام إلى الليل. ولم أدر ما هو، ففتلت خيطين من أبيض وأسود، فنظرت فيهما عند الفجر، فرأيتهما سواء. فأتيت رسول الله -صلى الله عليه وسلم- فقلت: يا رسول الله، كل شيء أوصيتني به قد حفظت غير الخيط الأبيض والأسود. قال: ((وما منعك يا بن حاتم))، وتبسم، كأنه قد علم ما فعلت. فقلت: خيطين من أبيض وأسود، فنظرت فيهما، فوجدتهما سواء. فضحك رسول الله -صلى الله عليه وسلم- حتى رؤي نواجذه، ثم قال: ((ألم أقل لك "من الفجر" إنما هو ضوء النهار وظلمة الليل))[1].

فرسول الله -صلى الله عليه وسلم- استخدم[2] الخيط الأبيض والأسود في النهار والليل، أي في غير معناهما الحقيقي، وأقام قرينة على استخدامه، وهو قوله ((من الفجر)) واستخدامه هذا يسمى تأويلا ومجازا، قال القاضي الباقلاني: هو لفظة معقولة المعنى، لها حقيقة ومجاز، فإن أجريت على حقيقتها كانت ظاهرا، وإذا عدلت إلى جهة المجاز كانت تأويلا[3].

وفي أثر عمر بن الخطاب وابن عباس -رضي الله عنهم- الآتي تنبيه على الاستخدام المجازي، وعلى النقل من المعنى الأصلي للكلمة.

---

[1] جامع البيان 100,2

[2] ومن قبله للقرآن

[3] البرهان 416,1-417

جاء في شفاء العليل لابن القيم في تفسير قوله تعالى: ﴿يجعل صدره ضيقا حرجا كأنما يصعد في السماء﴾[1]: الحرج هو الشديد الضيق في قول أهل اللغة جميعهم. يقال رجل حرج وحرج أي ضيق الصدر .. قال عبيد بن عمير: قرأ ابن عباس هذه الآية، فقال. هل هنا أحد من بني بكر؟ قال رجل: نعم. قال: ما الحرجة فيكم؟ -أي في ماذا تستعملونها وعلى ماذا تطلقونها- قال: الوادي الكثير الشجر الذي لا طريق فيه. قال ابن عباس: كذلك قلب الكافر.

وقرأ عمر بن الخطاب الآية فقال: ايتوني رجلا من بني كنانة، واجعلوه راعيا -أي اختاروا من اشتغل بالرعي-، فأتوه به، فقال عمر: يا فتى ما الحرجة فيكم؟ قال: الشجرة تحدق بها الأشجار الكثيرة، فلا تصل إليها راعية ولا وحشية. فقال عمر: كذلك قلب الكافر. لا يصل إليه شيء من الخير[2].

فنبه هذا الأثر على:

- النقل من الوضع والاستعمال الأول -الوادي أو الشجرة- إلى الاستعمال الثاني وهو قلب الكافر.
- على نوع العلاقة بين الاستعمالين وهي المشابهة
- أهمية رصد معاني الكلمات والبحث عنها في تفهم نصوص الشريعة. وهذا عين ما قام به علماء اللغة والمعاجم.
- أن قول من قال إن المجاز لم يقل به السلف، إن أراد عملية وتطبيق المجاز نفسه، فهذا قول مدفوع، وإن أراد مجرد التسمية فمجرد التسمية لا يفيد نفيه في إبطال المجاز نفسه، باعتباره فنا من فنون القول، وأداة من أدوات التعبير.

2. أن ابن تيمية في تحليله لظواهر المتشابهات قد وقع في التأويل الذي ينكره؛ فالقدم في الحديث الشريف السابق ((... حتى يضع رب العزة فيها قدمه)) في أصل اللغة، تطلق على القدم المعروفة والجارحة المعلومة، وتفسيره لها بأنها قدم ليست كأقدامنا تأويل؛ لأنه خرج به عن الصورة المعلومة للقدم إلى صورة أخرى غير معروفة، لم يوضع لها لفظ القدم في اللغة، واستعان في تحليله

---

[1] الأنعام 126

[2] شفاء العليل 203 و 227

بقرينة حتى يصل إلى مراده، وهو قوله تعالى: ﴿ليس كمثله شيء﴾ ولو كان استخدام القدم حقيقة فيما ذهب إليه لاستغنى عن استخدام القرينة، وهذا ظاهر (لأن الألفاظ إذا لم تكن مشتركة فلا تستعمل فى حقائقها مرتين، وإنما تقع حقيقة فى موضع استعمالها الأول، فإذا اخرجت عنه كانت مجازا)[1].

ولفظ القدم لم يكن مشتركا، لأنه حين يُقرأ أو يسمع يسبق إلى الفهم صورة القدم المعروفة دون غيرها من الصور المجهولة، والألفاظ المشتركة عند أهلها لا يسبق فيها إلى الفهم بعض دون بعض.

3. أن التأويل لا يؤدى إلى التعطيل، فالقدم فى الحديث الشريف حين تؤول على غير حقيقتها لوجود القرينة الشرعية، لا يؤدى هذا التأويل إلى التعطيل لا للذات ولا للألفاظ؛ لأنه ليست هناك صفة أصلا تسمى القَدم لعدم ما يدل عليها -كما سبق بيانه- فلا يكون تأويلنا للقدم نفيا لها، ولم تكن القدم فى الحديث تدل على القدم حقيقة، حتى يصح أن نقول إن تأويلنا فيه تعطيل لحقائق الألفاظ.

4. أن السلف الصالح الذى يستند إليه ويحتج به ابن تيمية فى التأويل والتفسير، هو الذى نبه على الوضع الأول وأصل الكلمة:

- قال ابن جرير فى تفسير قوله تعالى: ﴿أو تحرير رقبة مؤمنة﴾: يعنى -تعالى ذكره- بذلك أو فك عبد من أسر العبودية وذلها، وأصل التحرير الفك من الأسر، ومنه قول الفرزدق:

أبنى غدانة إنى حررتكم ... فوهبتكم لعطية بن جعال

يعنى بقوله "حررتكم" فككت رقابكم من ذل الهجاء ولزومه[2].

- وقال فى قوله تعالى: ﴿اهدنا الصراط المستقيم﴾[3]. اجتمعت الأمة من أهل التأويل جميعا على أن الصراط المستقيم، هو الطريق الواضح الذى لا اعوجاج

---

[1] المجاز فى اللغة والقرآن الكريم 693,2

[2] جامع البيان 18,7

[3] الفاتحة 5

فيه، وذلك فى لغة جميع العرب ... ثم تستعير العرب الصراط فتستعمله فى كل قول وعمل يوصف باستقامة واعوجاج[1].

فابن جرير هنا ((قد حكى إجماع الأمة من أهل التأويل على أن المراد بالصراط وضعا هو الطريق المستقيم الذى لا أعوجاج فيه، فيكون استعماله فى غيره -مثلما فى الآية الحكيمة- خروجا به إلى غير معناه هو المجاز))[2]

- وقال فى قوله تعالى: ﴿فى قلوبهم مرض﴾[3]: وأصل المرض السقم، ثم يقال ذلك فى الأجساد والأديان[4]. والمراد من الأصل هو أصل الوضع.

وابن تيمية يقول عن تفسير ابن جرير: التفاسير التى فى أيدى الناس أصحها تفسير ابن جرير الطبري، فإنه يذكر مقالات السلف بالأسانيد الثابتة، وليس فيه بدعة، ولا ينقل عن المتهمين[5].

وهذه التزكية تفيد صحة قول ابن جرير بأصل الوضع اللغوى، وصحة قوله بالإجماع عليه. وقول ابن تيمية السابق يفيد أن من يقول بالوضع الأول يعتبر من المبطلين[6]، فأي وصفين سنصف بهما الإمام ابن جرير، هل هو برئ من البدع والضلال كما هو ظاهر النص الأول، أو هو فى قائمة المبطلين كما حكم به النص الثانى؟

- قال أبو عبيدة (توفى سنة 209) فى قول جرير:

لا قوم أكرم من تميم إذ غدت عوذ النساء يسقن كالآجال

قال: قوله (عوذ النساء) هن اللاتى معهن أولادهن، والأصل عوذ الابل التى معها أولادها، فنقله العرب إلى النساء، وهذا من المستعار، وقد تفعل ذلك العرب كثيرا[7].

---

1 المرجع السابق 1,57-58

2 المجاز 1,456

3 البقرة 9

4 جامع البيان 1,94

5 مجموع الفتاوى 2,192

6 المرجع السابق 7,90-91

7 النقائض 1,121 نقلا عن كتاب المجاز للمطعنى

- قال أبو عمرو بن العلاء فى قول ذى الرمة:

أقامت به حتى ذوى العود وساق الثريا فى ملاءته الفجر

قال:

ألا ترى كيف صير له -أي للفجر- ملاءة، ولا ملاءة له، وإنما استعار له هذه اللفظة[1].

- قال ابن قتيبة [213-276]: العرب تستعير الكلمة فتضعها مكان الكلمة إذا كان المسمى بها بسبب من الأخرى أو مجاورا لها.. فيقولون للنبات نـوء، لأنـه يكون من النوء عندهم. قال رؤبة بن العجاج:

وجف أنواء السماء المرتزق

أي جف البقل. ويقولون للمطر سماء، لأنه من السماء ينزل[2].

- قال الخطابى فى شرحه الحديث: ((فإذا سكب المؤذن بالأولى من صلاة الفجر قام فركع ركعتين خفيفتين)) قال: قال سويد: سكب يريد أذن، السكب الصب والدق، وأصله فى الماء يصب، وقد يستعار، فيستعمل فى القول والكلام، كقول القائل: أفرغ من أذنى كلام لم أسمع مثله[3].

وهذا يدل على أن اللفظ المتحدث عنه له دلالتان، أحدهما أصلية، وهي دلالة الوضع الأول، والثانية فرع وهي دلالة المجاز.

- قال المبرد [توفى سنة 285] فى تحليل قول ميادة:

أمرتك يا رياح بأمر حزم فقلت هشيمة من أهل نجد

قال: تأويله ضعفه، وأصل الهشيم النبت إذا جف وتكسر، فذرته الرياح يمينا وشمالا[4].

- قال الإمام أبو حنيفة: إن المجاز خلف الحقيقة فى التكلم[5].

---

[1] العمدة لابن رشيق 269.1

[2] تأويل المشكل 135

[3] معانى القرآن 363.2

[4] الكامل 45.1

[5] كشف الأسرار عن أصول فخر الاسلام للبزدوى 77.2 80

- قال الشافعى: فإنما خاطب الله بكتابه العرب بلسانها على ما تعرف من معانيها، وكان مما تعرف من معانيها اتساع لسانها[1]، وإن فطرته أن يخاطب بالشيء منه عاما يراد به العام الظاهر.. وعاما يراد به العام ويدخله الخاص، وظاهرا يعرف فى سياقه أنه يراد به غير ظاهره[2].

والجملة الأخيرة من قول الإمام الشافعى تعتبر قاعدة كلية للمجاز، ومعناها أنه يدرك من خلال السياق القرينة الصارفة عن إرادة المعنى اللغوى الأصلى.

- قال الشافعى: إن الطلاق يقع بلفظ التحرير مجازا، والعتاق يقع بلفظ الطلاق مجازا.
- قال فخر الاسلام البزدوى: لم يمنع أحد من أئمة السلف من استعمال المجاز[3].
- قال ابن عطية –توفى سنة 310 هـ– فى قوله تعالى: ﴿اهدنا الصراط المستقيم﴾ الصراط فى اللغة الطريق الواحد...

واختلف المفسرون فى المعنى الذى استعير –أي نقل إليه– الصراط فى هذا الموضع وما المراد منه–[4].

فهؤلاء أئمة السلف يقولون بخلاف ما يقوله ابن تيمية؛ فهم يقولون بالوضع الأول، وبالنقل منه على سبيل الاستعارة والمجاز، وهو يقول إن هذا لم ينقله أحد، ومن يقول هذا مبطل، وعلى قوله فالسلف من المبطلين.

5. المجاز ليس كذبا لـ:

- أن المتجوز ينصب بين يدى القارئ قرينة تصرف عن إرادة المعنى الوضعى. أما الكذب فإن الكاذب يحرص على إخفاء حاله وترويج كذبه.

---

[1] التوسع من باب المجاز قال ابن الأثير: المجاز لا يخرج عن هذه الأقسام الثلاثة إما توسع أو تشبيه أو استعارة المثل السائر 82,2-83 وقال ابن جنى: لا يعدل عن الحقيقة إلى المجاز إلا لمعانى ثلاثة وهى الاتساع والشبه والتوكيد المرجع السابق 84,85

[2] الرسالة 53

[3] كشف الأسرار 77,2-80

[4] المحرر الوجيز 122,1

- أنه إنما يكون كذبا لو أثبت فيه المعنى على التحقيق لا على المجاز، فيكون إطلاق الأسد على الرجل الشجاع كذبا لو ادعى أنه حيوان مفترس، وليس هذا المقصود من الاطلاق، وإنما القصد تشبيهه به فى الشجاعة والجرأة.

اعتراضات ابن القيم

اعترض ابن القيم فى كتابه "الصواعق المرسلة" على استخدام المجاز بأكثر من خمسين اعتراضا، وقد تعرض العلماء قديما وحديثا لمناقشة هذه الاعتراضات ونقدها، ومن أشهر هؤلاء العلماء العلامة الدكتور عبدالعظيم المطعنى فى كتابه القيم "المجاز فى اللغة والقرآن الكريم" الذى بلغ أكثر من ألف ومائة صفحة فى جزئين كبيرين، أثبت فيه استخدام السلف للمجاز وتأويلهم للنصوص. وناقش فيه ابن تيمية وابن القيم بإسهاب كبير، أبطل فيه كل الحجج الواردة فى كتبهما، والرجل ليس من أعداء ابن تيمية وابن القيم حتى يتهم بالتعصب، وإنما هو من المعجبين بهما، اللاهجين بالثناء عليهما.
وينبغى لكل من يقرأ لابن تيمية وابن القيم الاطلاع على هذا الكتاب، حتى يكون على بصيرة وبينة من أمره ((انظروا عمن تأخذون دينكم))
والمسألة جلل، فالأخذ بالظاهر غير الأخذ بالتأويل فى النتائج والآثار، فالأخذ بالظاهر يترتب عليه القول بقدم العالم، وفناء النار يوم القيامة، وتلبس الأنبياء -عليهم السلام- بالمعاصى والآثام، وتحيز الله فى المكان والجهة، والقول بالأجزاء له والأبعاض من اليد والقدم والوجه، والقول بضلالة الأمة المؤولة... إلى غير هذا من العقائد التى التزم بها ابن تيمية واعتنقها، ودعا أتباعه إلى الإيمان بها.

- وسأورد هنا عشرة اعتراضات لابن القيم على المجاز، وسأنقل إجابة العلامة المحقق المطعنى عليها بما يخدم موضوع هذا الكتاب.

الاعتراض الأول

قال ابن القيم ما يرفع المجاز بالكلية أنهم قالوا: إن من علامة الحقيقة السبق إلى الفهم، وشرطوا في كونها حقيقة الاستعمال، وعند الاستعمال لا يسبق إلى الفهم غير المعنى الذى استعمل اللفظ فيه، فيجب أن يكون حقيقة، فلا يسبق إلى فهم أحد من قول النبى -صلى الله عليه وسلم- فى الفرس الذى ركبه: ((إنا وجدناه بحرا)) الماء الكثير المستبحر، فإن فى ((وجدناه)) ضميرا يعود على الفرس، يمنع أن يراد به الماء الكثير، ولا يسبق إلى فهم أحد من قوله -صلى الله عليه وسلم-: ((إن خالدا سيف سله الله على المشركين)) أن خالدا حديدة طويلة لها شفرتان، بل السابق إلى الأفهام من هذا التركيب نظير السابق من قولهم: يا رسول الله، إنا نركب البحر، ونحمل معنا القليل من الماء[1]...

جواب المطعنى

العلامة قد جانبه الصواب هنا بشكل واضح، فإما أن يكون قد فهم كلام المجازيين وتجاهله، أو لم يفهمه، فمراد المجازيين من ((التبادر)) إنما هو عند خلو الكلام من قرينة التجوز، أما عند وجود القرينة فالمتبادر هو المعنى المجازى وليس الحقيقى، والعلامة لم يلحظ هذا كما هو مقتضى كلامه.

ومن الأخطاء التى وقع فيها عده الحديثين المذكورين من باب المجاز، ولا مجاز فيهما، فحديث الفرس تشبيه، والتشبيه حقيقة، وحديث خالد تشبيه كذلك، لأنهما لو كانا استعارتين، والاستعارة -على الصحيح- لا يجمع فيها بين المشبه والمشبه به، وهما هنا الفرس والبحر، وخالد والسيف، وبهذا ينهار من الأساس ما توهم فى عد هذا مجازا، وليس هو بمجاز. وقد ناقشناه مع ابن جنى من قبل[2].

---

[1] الصواعق 321

[2] المجاز 945،2

الاعتراض الثانى

يمتنع دخول المجاز فى كلام الله، لأن الله لم يضع ألفاظ كلامه لمعان، ثم نقلها إلى غيرها، ولا كان كلامه تابعا لأوضاع المخلوقين[1].

جواب المطعني

هاتان مغالطتان مفضوحتان كان حريا بالعلامة ابن القيم، وهو العالم الفذ، والفقيه الجهبذ، والمجادل الذكى أن يقع فيهما، فمن ذا الذى يقول إن كلام الله فى التوراة والانجيل والقرآن وضع الله ألفاظه؟![2] والله يقرر فى كتابه الحكيم الذى كان يحفظه العلامة ويفسره قانونا مطردا، لم يتخلف فى إرسال الرسل وإنزال كلامه عليهم **﴿وما أرسلنا من رسول إلا بلسان قومه ليبين لهم﴾**

هذه الآية الحكيمة تبطل دعوى العلامة بشقيها:

- كون الله سبحانه –وضع ألفاظ كلامه وضعا خاصا.
- نفي أن يكون كلام الله تابعا لأوضاع المخلوقين.

لأن كلام الله الموحى إلى كل أمة نزل بألفاظها تابعا لأوضاعها؛ لأن المقصود من الرسالة البيان، ولو بعث رسول فى أمة بوحي مخالف للغة الأمة وأوضاعها لما كان بيانا وهدى[3].

الاعتراض الثالث

إن اللفظ عند تجرده عن جميع القرائن يصبح مجرد صوت غير مفيد، مثل: طق، وغاق. فكيف يترتب على التجرد مجاز؟ فإن ادعى مجوزوا المجاز أنه ما احتاج إلى قرينة فى المفرد لإفادة المعنى كانت اللغات كلها مجازا؟! وإن

---

[1] الصواعق 316

[2] يقصد من الذى يقول أن الله قد اخترع الألفاظ التى صيغ بها القرآن وغيره

[3] المجاز 937

فرقوا بين قرينة وقرينة كان ذلك تحكما محضا. كأن يفرقــوا بــين القــرائن اللفظية والقرائن المعنوية[1].

جواب المطعنى

أطال[2] المؤلف فى هذا الوجه، وسواء علينا أطال أم أوجز، لأن صواب هــذه المسألة قائم على اصطلاح خاص، فليس المراد عند مجــوزى المجــاز مــن التجرد والاطلاق التجرد العام من كل القرائن، بل المراد خلــو الكــلام مــن القرائن المنصوبة لتحقيق المجاز، فقولنا "رأيت أسدا يخطب فى الجند" صــار مقيدا بقرينة تصرف عن معنى "الأسدية الحيوانية" إلى معنى الشجاعة والإقدام. وسواء عند مجوزى المجاز أن تكون القرينة المحققة للمجاز عقلية أو لفظيــة، ولكن ليس كل قرينة لفظية كانت أو عقلية محققة للمجاز، فالمفعول فى "أكلت دما" قرينة لفظية محققة للمجاز، لأن الــدم لا يؤكــل، وبخاصــة دم الآدمــى المقصود هنا، والمفعول فى قولنا "قرأت كتابا" قرينة لفظية، ولكنها لا تحقــق المجاز، والاضافة فى "مكر الليل" قرينة لفظية محققة للمجاز[3]، أما الاضافة فى قولنا "مكر الانسان" فقرينة لفظية، ولكنها لا يترتب عليها مجاز.

والعقلية مثل اللفظية تحقق المجاز حينا، ولا تحققه حينا آخر، فقول الشاعر:

وما الدهر إلا من رواة قصائدى   إذا قلت شعرا أصبح الدهر منشدا

فيه قرائن عقلية محققة للمجاز؛ لأن الدهر –وهو الزمن- لا يروى ولا ينشد، وإنما يروى وينشد أهله.

ومثله عبارة سيبويه المذكورة فى أول الكتاب "حملت الجبل" "وشــربت مــاء البحر" فالعقل يمنع أن يحمل إنسان جبلا، ولن يشرب ماء بحر فلا يــذر منــه شيئا، وإذا قال إنسان: الولد أكبر من أبيه سنا، حكم العقل بفساد هذا الكلام، ولا يترتب على القرينة العقلية هذا مجاز.

---

[1] انظر الصواعق 299

[2] هذا النص ملخص لكلام ابن القيم

[3] لأن الليل لا يمكر

وإنما جانب المؤلف الصواب -هنا- لأنه أراد أن يحاكم مجوزى المجاز على أساس قوانين كلية، لا على أساس مصطلحات العلوم والفنون الخاصة بكل علم وفن.

الاعتراض الرابع

تقسيم الألفاظ إلى مستعمل فيما وضع له، وإلى مستعمل فى غير ما وضع لـــه تقسيم فاسد، لأنه يتضمن إثبات الشيء ونفيه[1].

جواب المطعنى

يريد المؤلف أن يقول: إن استعمال اللفظ فى غير ما وضع لـــه معنـــاه نفـــي الوضع، وإن استعماله فى المجاز معناه إثبات الوضع، وهذا -عنده- جمع بين النقيض؟! وهذه مغالطة كبرى من المؤلف، فاستعمال اللفظ فى المجاز لا ينفى الوضع الأول، لأن المجاز إجماعا ملاحظ فيه المعنى الوضعى، فالقرآن الحكيم حين أطلق على الجهل لفظ الموت لم يلغ الدلالة الحقيقية لكلمة المـــوت، بـــل استثمرها فى المعنى المجازى.

فسمى الجاهل "ميتا" لأن الميت عديم النفع، وكذلك الجاهل، والعلامة نفسه حين سمى كتابه "الصواعق" لم يلغ المعنى الحقيقى لهذه الكلمة الذى هو الاحـــراق والإهلاك، بل شبه كتابه فى القضاء على خصومه بالصواعق فى قوة التأثير، وهكذا كل مجاز، فأين إلغاء الوضع يا ترى[2]؟

الاعتراض الخامس

التسليم بصحة المعنى المجازى لا يصح إلا بعد تمييز المعنى الحقيقى بمميـــز منفصل، لأن صحة التمييز بين الألفاظ تابع لصحة التمييز بين المعانى، فإذا لم يصح التمييز كان التقسيم تحكما محضا[3].

---

[1] الصواعق 291

[2] المجاز 918،2

[3] الصواعق 292

جواب المطعني

هذه القاعدة التى ذكرها المؤلف صحيحة، ولكن لا أثر لها فيما نحن بصدده؛ لأن التمييز بين المعنى الحقيقى حاصل حصولا بينا، ولنأخذ بعض الأمثلة التى تقدمت، فقد قلنا آنفا إن القرآن الكريم أطلق لفظ الميت على الجاهل مجازا، والمعنى الحقيقى متميز كل التمييز عن هذا المعنى المجازى، فالميت الذى فارقت روحه بدنه إن كان مسلما غسل وكفن، وصلى عليه، ثم دفن، ويورث إن كان له مال ووراث، وتحل كل ديونه بالموت، وتسقط عنه التكاليف.
أما الميت الجاهل فلا تجرى عليه تلك الأحكام التى تقدمت، فهل بعد التمييز من تمييز[1]؟!

الاعتراض السادس

هل المجاز مخصوص عندكم بلغة العرب أم عام في كل اللغات؛ ويرتب على هذا محضورين، فإن قال مجوزوا المجاز إنه خاص بلغة العرب، قال لهم هذا تحكم فاسد، وإن قالوا عام في كل اللغات قال لهم: هذا أمر ينكره أهل كل لغة، بل يجزمون بأن لغتهم باقية على موضوعاتها لم تخرج عنها[2].

جواب المطعني

هذا إفلاس في محاورة الخصوم، وخروج بموضوع النزاع إلى غير حاجته، لأن مفكري كل أمة يولون عنايتهم بلغة أمتهم، وهل سأل هو كل الأمم عن المجاز والنقل فأجابوه بما ادعاه؛ وهل كان يعرف أن هذه الدعوى باطلة، وأن المجاز موجود في كل اللغات، وأن أرسطو قبل الميلاد بأكثر من أربعة قرون كان قد تكلم على المجاز والنقل والإستعارة والتشبيه والفرق بين الإستعارة والتشبيه[3]، وأوروبا في نهضتها الأدبية واللغوية الحديثة اعتمدت على أدب

---

[1] المجاز 920،2
[2] الصواعق 315
[3] انظر أرسطو فن الشعر 457

اليونان القدماء، وحذت حذوهم ردهاًمن الزمن، وآداب الأمم حافلـــة بصـــور رائعة من المجاز لا ينكرها إلا معاند: هنـــودا وفرســـا وورومانـــا وغيـــرهم وغيـــرهم ...
أجل: إن المجاز عام في كل لغة، وإن اختصت العربية بكثرة البحث فيه حتى اشتهر فيها وذاع أثره[1] [2]

الاعتراض السابع

يعجز البيانيون عن توضيح الفرق بين قرائن المجاز وقرائن غير المجاز[3] .

جواب المطعني

من أيسر الميسور عند المجازيين التفرقة بين القرائن التي يكون معها الكـــلام مجازاً، وبين القرائن التي يكون معها الكلام حقيقة، لفظيات كانت أومعنويات، وسقنا على ذلك عدة أمثلة فيما تقدم[4]، ونضيف هنا: لو كان ســـائل قـــد ســـأل العلامة وهو في مجلس فقه فقال: ما حكم رجل خرق بطن حامـــل[5] فماتـــت، ومات ما في بطنها؟ فإن جوابه، وهو الفقيه العلم، لا بد أن يكون: يقتل الرجل قصاصاً إن كان متعمداً، وعليه دية الأم وجنينها إن كان مخطئـــاً. وإن ســـأله آخر فقال: ما حكم رجل خرق بطن الوادي[6]، وسار فيه بفرس رائحاً جائيـــا؟ أيكون جوابه مثل الأول فيرى في هذا جريمة كما رأى في الأول؛ أم أن هـــذا عمل مباح وإن كان فيه خرق بطن[7].

---

[1] أنظر اللغة الشاعرة للأستاذ العقاد 35

[2] المجاز 936,2

[3] الصواعق 328

[4] انظر جواب الاعتراض الثالث

[5] الإضافة هنا حقيقة

[6] الإضافة هنا غير حقيقية بل مجازية

[7] المجاز 941,2

[يعني أن اختلاف جوابه يعني إدراكه للفرق بين القرائن التي يكون معها الكلام مجازاً، والقرائن التي يكون معها الكلام حقيقة]

الاعتراض الثامن

ينازع ابن القيم في أمارة المجاز المعبر عنها بأن اللفظ عند الاطلاق يكون المعنى المتبادر منه إلى الفهم هو الحقيقة،وما عداه –عند التقييد– هو المجاز، وأن القائلين بالمجاز ليسوا ممن يحتج بعربيتهم[1]؛

جواب المطعني

دعوى أن أكثر القائلين بالمجاز ليسوا عربا، ولا يحتج بعربيتهم دعوى باطلة بشقيها، فسيبويه وإن لم يكن من أصل عربي هو إمام النحاة واللغويين بلا نزاع، وقد أدرك الاستعمال المجازي من وقت مبكر، وسماه الاتساع في الكلام، وحذا حذوه الفراء وأبو عبيدة وابن قتيبة، وأبو عمرو بن العلاء، وابن الأعرابي، ومؤرج السدوسي الذي كان يحفظ كما قيل ثلث اللغة، ثم حذا الجاحظ حذوهم وأضاف، وكذلك المبرد وغيرهما كثير، بل إن التصريح بالمجاز بلفظه ومعناه معزو إلى الإمام الشافعي والإمام أبي حنيفة وصاحبيه، وتقدم هذا في حديثنا مع ابن تيمية مع توثيق النقل عنهم، فليراجعه من يريد .
أما تبادر المعنى الحقيقي فيكفي فيه قصة القوم الذين فهموا من قوله تعالى: **﴿حتى يتبين لكم الخيط الأبيض من الخيط الأسود﴾**، أن المراد من الخيطين هنا الحبلان الأبيض والأسود، إلى أن نزل قوله تعالى: **﴿من الفجر﴾**، فكانت نصاً في فهم المراد .
وهذه المبادرة مطردة، لذلك احتيج في المجاز إلى القرائن الصارفه عن المعنى الحقيقي المتبادر، وهذا هو الحق[2].

---

[1] نفس المصدر في الوجه الثاني والأربعون
[2] المجاز 993،2

الاعتراض التاسع

لو صح تقسيم الكلام إلى حقيقة ومجاز لكان ذلك إما باعتبار لفظه فقط، أو باعتبار معناه فقط، أو باعتبارهما معاً... والكل باطل فالتقسيم باطل[1].

جواب المطعني

التلازم بين الألفاظ والمعاني كالتلازم بين الروح والحياة، واللفظ حين ينظر إليه بمنأى عن وجوده في جملة ذات معنى تام لا يفيد إلا التصور، وتعقل المعنى بلا واسطة لفظ يدل عليه يكاد يكون مستحيلاً، فالألفاظ أوعية المعاني كما قالوا، وعلى هذا فإن تقسيم الكلام إلى حقيقة ومجاز منظور فيه إلى الألفاظ والمعاني معاً، فمثلاً قوله- صلى الله عليه وسلم- في النساء: ((رفقاً بالقوارير)) فإن لفظ القوارير هنا بحسب معناه مجازي، والمعنى بحسب دلالة اللفظ عليه في هذا الموطن مجازي أيضاً، فتقسيم الكلام إلى حقائق ومجازات مراعى فيه الألفاظ ومعانيها، وهذا لاينكره منصف، ويزداد الأمر وضوحاً حين تقارن بين قوله تعالى: ﴿ويطاف عليهم بآنية من فضة وأكواب كانت قواريرا قواريراً من فضة قدروها تقديراً﴾[2]

إن دلالة(القوارير) في الآيتين تختلف اختلافاً بيناً عن دلالة القوارير في الحديث، فالدال والمدلول في الحديث مجازي باعتبار، والدال والمدلول في الآيتين حقيقة باعتبار، فأية غرابة في صحة هذا التقسيم إلا الغرابة التي تنشأ عن التعصب وحده، إن التعصب كثير ما يلبس الأشياء غير أثوابها[3].

الاعتراض العاشر

يأخذ على المجازيين مأخذين كلاهما لا حجة له فيه، لأنهم رآهم يمارسون المجاز على أصلين كما يقول: تارة بالحمل والأخبار، فيقولون أراد المتكلم من

---

[1] انظر الصواعق 335

[2] الإنسان 15-16

[3] المجاز 948,2

كلامه هذا التجوز بكذا عن كذا، وتارة يستعملون هم المجازفي خطبهم وكلامهم، ويقولون استعرنا كذا لكذا، ويرد عليهم أصلهم الأول، فيقول: من أين لكم إن المتكلم لم يرد بكلامه معناه المفهوم منه عند الخطاب، يعني الحقيقي[1]

جواب المطعني

من المعلوم أن المتكلم بالمجاز ينصب قرينة تدل على مراده منه، وأحياناً تكون القرينة مقررة بطبيعتها، مثل قول ابن الرومي في وصف الطبيعة في الربيع:

تبرجت بعد حياء وخفر   تبرج الأنثى تصدت للذكر

فوصف الطبيعة بالتبرج مجاز، والقرينة هو الحديث عما لا يعقل، وأراد التبرج إنما هو فعل العقلاء. فإذا قال ناقد إن هذه صورة مجازية وردت في شعر ابن الرومي لم يكن منقولاً عليه، لأن من المحال أن يكون الشاعر قد أراد من التبرج هنا نفس المعنى المنهي عنه في القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿ولا تبرجن تبرج الجاهلية الأولى﴾[2]

وكذلك محال أن يكون مراد النبي –صلى الله عليه وسلم– من (القوارير) في الحديث المتقدم[3] معنى القوارير في الآية (كانت قواريرا)

وإذا كان من حق الناقد أو الشارح أن يفسر كلام غيره على هذا المنهج، فهو بتفسير كلام نفسه أحق[4].

ملاحظة

مع شدة معارضة ابن القيم للمجاز والتأويل في كتابه "الصواعق" و "النونية" فهو متوسع فيهما في كتب أخرى متعددة كشفاء العليل، وبدائع الفوائد، والتبيان ... ودلالات هذا التعارض والتناقض سيأتي التعرض لها في التقويم التفصيلي عند مبحث الصوت.

---

[1] الصواعق 338

[2] الأحزاب 33

[3] رفقا بالقوارير

[4] المجاز

التقويم التفصيلي

مبحث الصوت

عقيدة ابن تيمية

يعتقد ابن تيمية أن الله حين يتكلم يتكلم بصوت وحرف. يقول في كتابه مجموعة الرسائل: الله تكلم بالقرآن بحروفه ومعانيه بصوت نفسه... كما ثبت بالكتاب والسنة وإجماع السلف[1].

وما تكلم الله به فهو قائم به[2].

قال الله تعالى: **﴿وناديناه من جانب الطور الأيمن﴾**[3] فهذه الآية تدل على أنه يتكلم بحرف وألفاظ وصوت؛ لأنه لا يصح في العقل نداء ليس مسموعا لنا، ولا يسمع إلا الصوت[4]. يقول رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: ((يقول الله: يا آدم، فيقول لبيك وسعديك، فينادى بصوت: إن الله يأمرك أن تخرج من ذريتك بعثا إلى النار))[5]

وعن جابر بن عبدالله بن أنيس قال: سمعت النبي -صلى الله عليه وسلم- يقول: ((يحشر الله العباد، فيناديهم بصوت، يسمعه من بعد، كما يسمعه من قرب: أنا الملك، أنا الديان))[6]

ويقول رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: ((إذا تكلم الله بالوحي، سمع أهل السماء كجر السلسلة على الصفا))[7]

---

[1] 153,3

[2] مجموعة الرسائل 45,3

[3] مريم 51

[4] مجموع الفتاوى 531,6-532

[5] البخاري -السندي- 180,4 في باب قول الله تعالى: ﴿ولا تنفع الشفاعة عنده إلا بإذنه﴾

[6] البخاري -الفتح- 234,17

[7] مجموع الفتاوى 234,6

وحين يتكلم الله يتكلم بصوت يشبه صوت الصواعق، لما جاء في الحديث: ((لما رجع موسى إلى قومه، قالوا له: صف لنا كلام ربك، فقال: سبحان الله! وهل أستطيع أن أصفه لكم؟
قالوا: فشبهه.
قال: سمعتم أصوات الصواعق التي تقبل في أحلى حلاوة سمعتموها؟ فكأنه مثله))[1].

وأن كلامه حادث فردا قديم نوعا، يقول في كتابه رسالة في صفة الكلام ص51: إنه ينادي ويتكلم بصوت، ولا يلزم من ذلك قدم صوت معين، وإذا كان قد تكلم بالتوراة والقرآن والانجيل بمشيئته وقدرته، لم يمنع أن يتكلم بالباء قبل السين، وإن كان نوع الباء والسين قديما، لم يستلزم أن تكون الباء المعينة والسين المعينة قديمة، لما علم من الفرق بين النوع والعين.
يعني أن اللفظ صادر منه تعالى بالحرف والصوت فيكون حادثا، لأن لكل حرف بدءا ونهاية، وأولاً وآخر، وكل حرف مسبوق بما قبله، والمسبوق بغيره حادث؛ لأنه لم يكن موجودا قبل التلفظ به.
لكن ما من لفظ إلا وقبله لفظ صدر منه، وما من حرف إلا وحرف سابق عليه إلى ما لا أول له، فيكون حادثا بالفرد، قديما بالنوع. قال الإمام أحمد بن حنبل: "لم يزل الله متكلما"
وهذا يدل -عند ابن تيمية- على قيام الحوادث بالله، لأن الله حين يقول للشيء المعدوم ((كن)) يتكلم بحرف ونون بعد أن كان صامتا، وحين ينادي عباده بتلفظ بـ ((ماذا أجبتم المرسلين))[2]
وحين أوحى بكتابه لجبريل -عليه السلام- سمعه جبريل يتلفظ بكلماته مرتبة الواحدة بعد الأخرى، وترتيبها لا يدل على حدوثها؛ لأن كلام الله قديم، يتكلم به في وقت معين بعد أن لم يكن متكلما.

---

[1] مجموع الفتاوى 154,6

[2] أنظر شرح العقيدة الأصفهانية لابن تيمية 69-70، مجموع الفتاوى 224,6

يقول ابن تيمية:

فإن قلتم لنا: فقد قلتم بقيام الحوادث بالرب، قلنا لكم: نعم، وهذا قولنا الذى دل عليه الشرع والعقل[1]، وآمن به السلف وأئمة الحديث[2]، لأن الكلام صفة كمال لا صفة نقص، ومن تكلم بمشيئة أكمل ممن لا يتكلم بمشيئة، فكيف يتصف المخلوق بصفات الكمال دون الخالق[3].

التقويم

سأدرس هذه الفتاوى والأحكام من ناحيتين:

1. من حيث التحليل.
2. من حيث النص.

من حيث التحليل

1. يعتبر تحليله غير مسلم، لأنه لا وجود للنوع إلا فى ضمن أفراده، فإذا كانت الأفراد حادثه كان النوع حادثا؛ لأنه حين يكون كل فرد مسبوقا بالعدم يكون الكل كذلك، فلا وجود للكلي إلا فى ضمن جزئياته.

والجملة ليست شيئا أكثر من الأفراد مجتمعة، فإذا كان كل فرد حادثا لزم من ذلك حدوث الجملة قطعا، فكل ما يعتبر وصفا للأفراد جميعا يعتبر وصفا للكلي، فإذا كان كل زنجي أسود كان الكل أسود ضرورة، وإذا كان كل طالب ناجحا، كان الجميع ناجحين بلا ريب، كذلك الأمر فى الحروف والألفاظ، فإذا كان كل حرف

---

[1] منهاج السنة 224,1

[2] مجموع الفتاوى 324,6

[3] المرجع السابق والجزء والصفحة مجموعة الرسائل 44,3-45

ولفظ صادر من الله حادثا، كان كلامه كله حادثا فردا و نوعا، مما يدل على ان هذا الكلام الملفوظ ليس صفته الذاتية؛ لأن صفاته الذاتية أزلية قديمة لا بداية لها.

قال الله تعالى: ﴿كتاب أنزلناه إليك مبارَك﴾[1]: فكلمة ﴿أنزلناه﴾ عبرت عن حدوث ألفاظه مرتين: مرة بتركيبها، ومرة بمادتها.

- وأصل العبارة: أنزل الله القرآن، فالله فاعل، والقرآن مفعول، والفاعل غير المفعول، فزيد غير عمرو ذاتا وصفاتا في قولك: ضرب زيد عمروا، فالقرآن غير الله[2] في قولك: أنزل الله القرآن.

ومعلوم أن الله وحده منفرد بصفة القدم، لا يشاركه غيره فيه، قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: ((كان الله ولم يكن شيء غيره))[3]

ومادة ((أنزل)) تدل على الحدوث أيضا؛ لأنه لو كانت هذه العبارات والجمل والحروف هي الصفة القديمة لما وصفت بالإنزال، كما أن صفة القدرة لا توصف بالإنزال، والصفات لا تفارق الموصوف، ولا تقوم بنفسها[4].

ووزن ((مبارك)) -بفتح الراء- في الآية يعبر عن أن الله موقع البركة، والقرآن محلها، ويدل على أن القرآن غير الله، وغير الله حادث.

فإن قلت: قد اتفق السلف على أن كلام الله قديم، فكيف تقول الأشاعرة بحدوثه؟

فالجواب: أن كلام الله يطلق على شيئين:

- الأول على الصفة النفسية الذاتية التي ليست بحرف ولا صوت.
- والثاني على هذه الألفاظ للكتب المقدسة.

وهذه الألفاظ -كما تقدم- لها بدء ونهاية، وأول وآخر، وكل لفظ مسبوق بما قبله، والمسبوق بغيره حادث، لأنه لم يكن موجودا قبل التلفظ به، فلا يمكن أن يوصف بالقدم لا فردا ولا نوعا.

---

[1] ص28

[2] أي ألفاظه، وما نقل عن بعض السلف من الإنكار على الحكم بالغيرية فمحمول على معانيه المتعلقة بعلم الله.

[3] البخاري الفتح 98,7

[4] إلقام الحجر

والقرينة على أن السلف يقصدون بوصف القدم الإطـلاق الأول -وهـو الصـفة النفسية- ما صح عن الإمام أحمد، فيما جاوب به المتوكل وغيره -كما هو مذكور في كتاب السنة وعيون التواريخ وغيرهما- أنه كان يقول: القرآن من علـم الله، وعلم الله غير مخلوق، فالقرآن غير مخلوق.

فهذا دليل على أنه يريد بالقرآن ما هو قائم بالله[1].

وكل الكون الحادث بما فيهم الكاتب والقارئ من علم الله، وعلم الله غير مخلـوق، فأنا وأنت قديمان باعتبار وجودنا العلمي فـي ذات الله أزلا، وحادثـان باعتبـار وجودنا المادي والروحي.

- تحليله يؤدي إلى أمور باطلة، لأن القائم بذات الله لا يخلو إمـا أن يكـون أفـراد الحوادث أو جنسها، فإن كان أفراد الحوادث استلزم ذلك حـدوث الله، لأن مـا لا يخلو عن الحوادث حادث، وهذا ما يقر به ابن تيمية، يقول في منهاجه: وأما تلـك المقدمة القائلة أن ما لا يخلو من الحوادث فهو حادث، فهي صحيحة، إن أريد آحاد الحوادث وأفرادها المتعاقبة في الوجود[2].

وإن كان يقصد جنس الحوادث يناقض نفسه؛ لأنه يقول بقيام الحوادث[3] بذات الله، ويقول بأن القائم به الجنس القديم، أي أن القول بأن القائم به شيء حادث يتناقض مع القول بأن القائم به قديم.

والقائم بذات الله إن كان بمشيئته فيعني هذا أنه لم يكن موجودا ثم وجد لضـرورة ثبوت الاختيار له، وعليه فيكون الجنس حادثا قـديما، وهـو مـا لا يجـوز، لأن النقيضين لا يجتمعان.

وإن لم يكن بمشيئته دل على سلب الاختيار عن الله عز وجل، وسلب الاختيار عن الله محال[4].

---

[1] تكملة السيف الصقيل 197-198

[2] منهاج السنة 118,1-119

[3] وعلى قصده هذا يكون الجنس حادثا، لأنه يقر بوصف الله بالحوادث، ولا يقصد الأفراد. فلم يبق إلا الجنس والنوع فيكون الجنس قديما حادثا

[4] ابن تيمية ليس سلفيا 153-154

وإذا كان تحليله باطلا، فلا يكون وصف الله بأنه يتكلم بألفاظ مرتبة من صفات الكمال، لأنه يؤدى -كما سلف- إما إلى القول بحدوث الله، وإما إلى القول بسلب الاختيار عنه.

يقول ابن تيمية: ولهذا كان من الكمالات ما هو كمال للمخلوق، وهو نقص بالنسبة إلى الخالق، وهو كل ما كان مستلزما لا مكان العدم عليه المنافى لوجوبه وقيوميته، أو مستلزما للحدوث المنافى لقدمه[1].

3. تحليله يؤدى إلى التناقض، فأقواله السابقة يجزم فيها بأن الله حين يتكلم بالقرآن وغيره يتكلم بصوت وحرف، وما تكلم به فهو قائم به.

وأقواله فى فتاويه تعارض هذا أو تنفيه، وتنعت قائله بأنه من أهل البدع، يقول ابن تيمية فى فتاويه:

وأما قولهم، ولا يقول: إن كلام الله حرف وصوت قائم به، بل هو معنى قائم بذاته، فقد قلت فى الجواب المختصر البديهي: ليس فى كلامى هذا أيضا ولا قلته قط بل قول القائل: إن القرآن حرف وصوت قائم به بدعة، وقوله: إنه معنى قائم به بدعة. لم يقل أحد من السلف لا هذا ولا هذا، وأنا ليس فى كلامى شيء من البدع، بل فى كلامى ما أجمع عليه السلف[2].

وما يقوله ابن تيمية فى هذه الفتوى يوافق ما جاء فى مجلس استتابته الذى حضره أئمة وعلماء ذلك الزمان، والذى كتب فيه بخط يده ما نصه:

الحمد لله.

الذى أعتقده أن فى القرآن معنى قائم بذات الله، وهو صفة من صفات ذاته القديمة الأزلية، وهو غير مخلوق، وليس بحرف ولا صوت، وليس هو حالا فى مخلوق أصلا، ولا ورق ولا حبر ولا غير ذلك ... وكل ما يخالف هذا الاعتقاد فهو باطل، وكل ما فى خطى أو لفظى مما يخالف ذلك فهو

---

[1] مجموع الفتاوى 87,6

[2] مجموع الفتاوى 30,5

باطل، وكل ما فى ذلك مما فيه إضلال الخلق، أو نسبة ما لا يليق به إليه، فأنا برئ منه، فقد تبرأت منه، وتائب إلى الله من كل ما يخالفه.

كتبه أحمد بن تيمية، وذلك يوم الخميس سادس شهر ربيع الآخر سنة سبع وسبعمائة.

وكل ما كتبته فى هذه الورقة، فأنا مختار فى ذلك غير مكره.

كتبه أحمد بن تيمية.

حسبنا الله ونعم الوكيل.

وبآخر هذا المكتوب رسوم شهادات الأئمة:

- كتب المذكور بخطه أعلاه بحضورى واعترافى: أحمد بن الرفعة.

[وأحمد بن الرفعة هذا له كتاب المطلب العالى فى شرح وسيط الغزالى فى أربعين مجلدا]

- أقر بذلك كتبه عبدالعزيز النمراوى.
- أقر بذلك كله بتاريخه. على بن محمد الباجى الشافعى.
- جرى ذلك بحضورى فى تاريخه. الحسن أحمد بن محمد الحسينى.
- كتب المذكور أعلاه بخطه واعترف به عبدالله بن جماعة[2].

فعلى أي فتوى سنعتمد، وأي عقيدة يا ترى سنعتقد؟ هل نعتقد أن لله صوتا كما جاء فى الفتوى الأولى المبثوثة فى كثير من كتبه، والتى قال فيها إنها تستند إلى

---

[1] وقعت لابن تيمية مجالس متعددة، حاوره فيها العلماء، وأقر فيها بخطئه، وتاب منه، ثم رجع إليه، ومن أشهر من حاوره:

العلامة كمال الدين الزملكانى ناظره فأفحمه.

العلامة محمد بن عمر بن مكى صدر الدين المرحل الذى قال عنه التاج السبكى فى طبقاته الكبرى 23,6: وله مع ابن تيمية المناظرات الحسنة، وبه حصل عليه التعصب من أتباع ابن تيمية، وقيل فيه ما هو بعيد عنه

[2] مسجلة هذه الاستتابة فى نجم المهتدى، والأصل المخطوط محفوظ بمكتبة الأهلية بباريس تحت رقم 638. تكملة السيف الصقيل 94-95 ، التوفيق الربانى 38-40

القرآن والسنة والإجماع؟ أم على الفتوى الثانية التى تقول: إن من يقول بالفتوى الأولى مبتدع ضال؟

والمسألة مسألة عقيدة، ومن شأن العقيدة الثبات والوضوح، ومن ميزاتها أنها لاتحلها أزمة مادية ولا اضطهاد بشرى.

فعن ماذا يعبر هذا التناقض؟ وما الذى يدل عليه هذا التباين؟ ويشير إليه هذا الانتقال من قول إلى قول؟

سنرجع فى إجابة هذه الأسئلة إلى ابن تيمية نفسه، فهو أدرى بنفسه من غيره،

يقول ابن تيمية:

إنك تجد أهل الكلام أكثر الناس انتقالا من قول إلى قول، وجزما بالقول فى موضع، وجزما بنقيضه وتكفير قائله فى موضع آخر.

وهذا دليل عدم اليقين، فإن الإيمان كما قال فيه قيصر لما سأل أبا سفيان، عمن أسلم مع النبى -صلى الله عليه وسلم-: هل يرجع أحد منهم عن دينه سخطة له بعد أن يدخل فيه؟ قال: لا.

قال: وكذلك الإيمان إذا خالط بشاشته القلوب لايسخطه أحد.

ولهذا قال بعض السلف -عمر بن عبدالعزيز أو غيره-: من جعل دينه غرضا للخصومات أكثر التنقل.

وأما أهل السنة والحديث فما يعلم أحد من علمائهم ولا صالح عامتهم رجع قط عن قوله واعتقاده[1].

ويقول ابن تيمية أيضا فى تعليل أسباب التناقض فى معرض حديثه فى الرد عن أحد العلماء: وهو متناقض فى عامة ما يقوله، يقرر هنا شيئا ثم ينقضه فى موضع أخر، لأن المواد العقلية التى كان ينظر فيها من كلام أهل الكلام المبتدع المذموم عند السلف، ومن كلام الفلاسفة الخارجين عن الملة، يشتمل على كلام باطل -

---

[1] مجموع الفتاوى 50،4

كلام هؤلاء وكلام هؤلاء- فيقرر كلام طائفة بما يقرر به، ثم ينقضه فى موضع آخر بما ينقض به[1].

وخلاصة هذه النقول :

أ. أن ابن تيمية ليس من أهل اليقين فى هذه العقيدة، لوجود التنقل فيها من الضد إلى الضد.
ب. لايشبه الصحابة والسلف فى الثبات على العقيدة.
ج. جعل دينه غرضا للخصومات، فوجدت عنده ظاهرة التنقل من عقيدة إلى عقيدة.
د. أن عقيدته فى القدم النوعى التى سبق الحديث عنها، وسبق بيان مخالفتها للنصوص الدينية من كلام الفلاسفة الخارجين عن الملة.

4. تحليل ابن تيمية لا يعتمد الصدق فى الاسناد؛ فقد قال بقيام الحوادث بالله، ونسب هذا القول إلى السلف الصالح وأئمة الحديث، مع أن أول من ابتدع هذا القول الكرامية-المجسمة- أتباع محمد بن كرام، يقول الإمام الاسفرايينى فى بيان مذهبهم:

ومما ابتدعوه من الضلالات مما لم يتجاسر على إطلاقه قبلهم واحد من الأمم لعلمهم بافتضاحه، هو قولهم بأن معبودهم محل الحوادث، تحدث فى ذاته أقواله وإرادته[2].

ويقول الشيخ هراس -من أتباع ابن تيمية- فى كتابه ابن تيمية السلفى:

وجوز قيام الحوادث بذاته سبحانه الكرامية... وتبعهم ابن تيمية فى تجويز قيام الحوادث بالذات، وغلا فى مناصرة هذا المذهب والدفاع عنه ضد مخالفيه من

[1] المرجع السابق والجزء 2، 56
[2] التبصير فى الدين 66

المتكلمين والفلاسفة، وادعىأنه هو مذهب السلف مستدلا بقول الإمام أحمد وغيره: لم يزل الله متكلما إذا شاء[1].

ومما يبطل نسبة الإرادات المتجددة وقيام الحوادث بالله للإمام أحمد، ما قاله أبو الفضل التميمى فى كتابه "اعتقاد الإمام أحمد": وذهب أحمد بن حنبل -رضي الله عنه- إلى أن الله عز وجل يغضب ويرضى، وأن له غضبا ورضا، وقرأ أحمد قوله عز وجل:

﴿ولاتطغوا فيه فيحلّ عليكم غضبى ومن يحلل عليه غضبى فقد هوى﴾[2].

وأضاف الغضب إلى نفسه.

وقال عز وجل: **﴿فلما آسفونا انتقمنا منهم﴾**[3] الآية.

قال ابن عباس: يعنى أغضبونا.

وقوله أيضا: **﴿فجزاؤه جهنم خالدا فيها وغضب الله عليه ولعنه﴾**[4].

ومثل ذلك في القرآن الكريم كثير.

والغضب والرضا صفتان له من صفات نفسه، لم يزل الله تعالى غاضبا على ما سبق فى علمه أن يكون مما يغضبه، ولم يزل راضيا على ما سبق فى العلم أنه يكون مما يرضيه[5].

وقول الإمام هذا:

- ينفي حدوث صفة الله، فليس له غضب حادث، ولا رضا حادث، وإنما هو غاضب أزلا على من علم أنه سيخالفه، راض أزلا على من علم أنه سيرضيه.
- يبرئ الإمام أحمد -رضي الله عنه- صراحة من عقيدة قيام الحوادث بالله.

---

[1] 134-133

[2] طه 81

[3] الزخرف 55

[4] النساء 93

[5] المقالات السنية 77 دار المشاريع

- يدين ابن تيمية الذى نسب هذه العقيدة إلى الإمام مع أنه براء منها.
يقول المحدث الكوثرى: نسبة القول بقيام الفعل الحادث بالله سبحانه إلى أحمد، وجعفر الصادق، وابن عباس -رضي الله عنهم- نسبة خاطئة غير صحيحة[1].

- يضعف الثقة بفتاوى ابن تيمية وبمصداقيته فى النقل، يقول المحدث الهرري: لا يغتر مطالع كتبه بتسبة هذا الرأي إلى أئمة أهل السنة، وذلك دأبه أن ينسب رأيه الذى يراه ويهواه إلى أئمة أهل السنة[2].

5. تحليله السابق يجعل الله فى قائمة المتخلفين من حيث الأداء الصوتى، فصوته يشبه الصواعق التى قال الله فيها:

﴿يجعلون أصابعهم فى آذانهم من الصواعق حذر الموت﴾[3]

﴿ويرسل الصواعق فيصيب بها من يشاء﴾[4]

﴿فإن أعرضوا فقل أنذرتكم صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود﴾[5]

وكان رسول الله -صلى الله عليه وسلم- إذا سمع الرعد والصواعق قال: ((اللهم لا تقتلنا بغضبك ولا تهلكنا بعذابك))[6] ويجعل صوت البشر العاديين أفضل من صوت الله، بل يجعل صوت الحيوانات كالعنادل والقمارى أفضل من صوت البارى، لأن أصواتها مستطابة، مستلذة، موزونة، متناسبة المطالع والمقاطع.
أليس جمال الصوت صفة كمال لا صفة نقص؟ ومن تكلم بصوت جميل كان أكمل ممن لا يتكلم بصوت جميل؟ فكيف يتصف المخلوق بصفات الكمال دون الخالق؟
وكان الواجب على ابن تيمية أن يبحث ويتأمل فى حديث الصواعق الذى جاء فيه ((أن الله كلم موسى بصوت يشبه صوت الصواعق)) متنا وسندا.

---

[1] بتصرف تكملة السيف الصقيل 71
[2] المقالات السنية 96
[3] البقرة 18
[4] الرعد 14
[5] فصلت 12
[6] مسند الإمام أحمد 15,20 ووصف رسول الله -صلى الله عليه وسلم- الرعد بأنه ينطق أحسن النطق يعنى فى مضمونه بالتسبيح والتكبير. الدر المنثور 58.4 ((وقل لعبادى يقول التى هي أحسن))

فمتنه مخالف لنصوص القرآن القطعية ﴿ليس كمثله شي﴾[1] ﴿ولم يكن له كفوًا أحد﴾[2] مما يؤكد عدم صحة الحديث. وقد ذكره ابن الجوزى فى الموضوعات، ونقل ذلك عنه السيوطى فى كتابه [اللآلئ المصنوعة فى الأحاديث الموضوعة 1,12].

وقد أكد العلامة المحدث الكوثرى القول بوضعه فى الرد على نونية ابن القيم، وقال فى مقالاته: لم يصح فى نسبة الصوت لله حديث[3].

6. عقيدته فى نسبة الصوت إلى الله تشبه عقيدة اليهود الذين حرفوا الكلم عن موضعه فى اللفظ والمعنى، سواء هذا فى مقولاته، أو فى المراجع التى يحث على قراءتها، ككتاب التوحيد لابن خزيمة الذى يصفه بأنه إمام الأئمة[4]:

— جاء فى كتاب التوحيد لابن خزيمة ص 146: فإذا سمعوا صوته صعقوا من عظمة الصوت وشدته.

— جاء فى سفر التثنية الاصحاح 5 الآية 24: إن عدنا نسمع صوت الرب إلهنا أيضا نموت.

— جاء فى كتاب التوحيد لابن خزيمة 137: فعلم أنه –أي الله- كلم بعضهم... فيسمع كلامه ولا يرى شخصه.

— جاء فى سفر التثنية الاصحاح 4 الآية 12: فتكلم الرب من وسط النار، وأنتم سامعون صوت كلام، ولكن لم تروا صورة بل صوتا.

— يقول ابن تيمية فى شرح العقيدة الواسطية ص96: والله سبحانه نادى أدم وحواء بصوت.

— جاء فى سفر التكوين الاصحاح 3 الأيات 8-10: وسمعا –أدم وحواء- صوت الإله ماشيا فى الجنة، ...فقال أدم سمعت صوتك.

---

[1] الشورى

[2] الصمد

[3] مقالات الكوثرى 28

[4] بالرغم من أنه يقر على نفسه أنه لا يفقه علم الكلام

- يقول ابن تيمية فى شرح العقيدة الواسطية 96: والله سبحانه نادى موسى بصوت. جاء مثله فى سفر الخروج الاصحاح 19 الآية 19: موسى يتكلم، والله يجيبه بصوت.
- يقول ابن خزيمة فى كتاب التوحيد 146: يسمعون صوته عز وجل بالوحي قويا، له رنين وصلصلة.

ويقول سفر أيوب الاصحاح 37 الأيات 2-6: الله يرعد بصوته عجبا.

ويلاحظ فى هذه النقولات التقارب فى اللفظ والمعنى والعقيدة، وإذا علمنا ما يقوله أئمة الحديث من أن الأحاديث التى تنسب الصوت لله مباشرة أحاديث غير صحيحة[1]، علمنا مصدر الوضع، ونوع الأيدى الآثمة الممتدة إليها.

7. إذا أخذنا بتحليل ابن تيمية لكلمة الإمام أحمد بن حنبل "لم يزل الله متكلما إن شاء" أن الله لم يزل يكلم أحدا من خلقه منذ القدم، ولا بداية لهذا التكليم، فيعنى هذا أنه لا بداية لوجود المخلوقات؛ لأن صفة التكليم متوقفة على وجود أحد يكلمه.

وهذا ما لا يقره عليه أحد لمخالفته الاجماع والنصوص الدينية:

يقول ابن حزم فى كتابه مراتب الاجماع فى [باب الاجماع فى الاعتقادات يكفر من خالفه بإجماع]: اتفقوا على أن الله عز وجل وحده لا شريك له، خالق كل شيء، وأنه تعالى لم يزل وحده، ولا شيء غيره معه، ثم خلق الأشياء كلها كما شاء.

ويقول الألبانى فى شرحه المختصر للعقيدة الطحاوية ص35:

العلماء اتفقوا على أن هنالك أول مخلوق، والقائلون بحوادث لا أول لها مخالفون لهذا الاتفاق؛ لأنهم يصرحون بأن ما من مخلوق إلا وقبله مخلوق، وهكذا إلى ما لا أول له، كما صرح بذلك ابن تيمية فى بعض كتبه.

قال جلال الدين الداونى[2] -رحمه الله تعالى- فى شرح العضدية: وقد رأيت فى تأليف لأبى العباس أحمد بن تيمية القول بالقدم الجنسى فى العرش[3].

---

[1] الأحاديث الصحيحة التى استدل بها ابن تيمية على إثبات الصوت لله ليس فيها ما يدل على إثبات الصوت لله وسيأتى قريبا تحليلها.

[2] وثقه الحافظ السخاوى فى البدر الطالع.

[3] المقالات السنية 67

ويعنى هذا أنه لا بداية للعرش نوعا؛ لأنه ما من عرش حادث إلا وقبلــه عــرش مثله سابق عليه إلى ما لا بداية فى الأولية.

واعتقاده هذا يخالف به قوله -صلى الله عليه وسلم-: ((كان الله ولم يكــن شــيء غيره))[1]

فالله هو الموجود المنفرد وحده بالوجود فى الأزل، قال الله تعالى: ﴿هو الأول﴾[2]

وابن تيمية هنا بين خيارين:

الخيار الأول

أن يؤمن كما آمن غيره من العلماء بأنه كان الله ولم يكن شيء معه.

فإذا آمن عرف بأن قصد الإمام أحمد بقوله: "إن الله لم يزل متكلما إن شاء" الصفة النفسية الذاتية القديمة، فهو متصف بصفة الكلام أزلا قبل أن يكلم الرسل، كما هو متصف بصفة الخلق قبل أن يخلقهم، كما صرح بذلك غلام الخــلال مــن قــدماء الحنابلة فى المقنع[3].

وهذا القول منسجم مع قول الإمام الطحاوى الذى ينقل فيه عقيدة السلف وأقوالهم: مازال بصفاته قديما قبل خلق الخلق... ليس بعد خلق الخلق استفاد اسم الخــالق، ولا بإحداثه البرية استفاد اسم البارى[4].

فهو منذ الأزل موصوف بأوصاف الكمال؛ فهو لم يزل خالقا إن شاء قبل أن يخلق الخلق، ولم يزل محييا إن شاء قبل أن يهبهم الحياة، ولم يزل بارئا إن شاء قبل أن يصورهم كيف شاء، ولم يزل متكلما إن شاء، أي له صفة التكليم قبل أن يوجد أحد يكلمه.

وإذا دل قول الإمام أحمد على الصفة الذاتية القديمة بطل الاستدلال به على قيــام الحوادث بالله سبحانه، لعدم دلالته على تجدد الكلام فى الذات الالهية مــرة بعــد

---

[1] البخارى -العينى- 213،7

[2] الحديد 3

[3] تكملة السيف الصقيل 80

[4] العقيدة الطحاوية -الهررى- 36-37

أخرى أزلا، وانتفى الاعتماد عليه فى قدم الألفاظ نوعا، فليس هناك لفظ قبله لفظ صدر منه إلى ما لا نهاية، لعدم وجود من يخاطب فى الأزل.

الخيار الثانى

أو يؤمن بأن العرش حادث فردا قديم نوعا، لا بداية لنوعه، فيصطدم بالحديث الشريف السابق الذى يدل على أن العرش لم يكن موجودا فكيف يكون قديما((كان الله ولم يكن شيء غيره))[1].

ولا ينفعه ترجيحه لرواية ((كان الله ولم يكن شيء قبله))[2] التى تدل عند ابن تيمية على نفى تقدم الحوادث على الله فقط، دون دلالة على نفى مقارنتها له -أي أن الحديث عنده نفى تقدم شيء عن الله، ولم ينف أن يكون شي ء قديما كالله-.

لا ينفعه هذا الترجيح بلا مرجح، ولا يسلم له لـ:

أ. أن الروايات الأخرى المتعددة لنفس القصة[3] صريحة فى نفي مقارنة أي موجود لله في القدم:

((كان الله ولم يكن شيء غيره))

((كان الله ولم يكن شيء معه))

((كان الله قبل كل شيء))[4]

والمنطوق الصريح مقدم فى الاستدلال على المحتمل.

والأحاديث التى يؤمن بها ابن تيمية ويحتج بها تدل أيضا على تأخر خلق العرش على الماء، وعلى عدم وجوده فى زمن ما:

---

1 البخارى-العينى-213,7

2 البخارى-السندى-172,4

3 لأنها وردت إجابة لسؤال أهل اليمن للنبى -صلى الله عليه وسلم- عن بدء الخلق

4 انظر فتح البارى 181,17

- جاء فى مسند الإمام أحمد عن أبى الرزين العقيلى أنه قال: يا رسول الله، أين كان ربنا عز وجل قبل أن يخلق السماوات والأرض؟ قال: ((كان فى عماء، ما فوقه هواء، وما تحته هواء. ثم خلق عرشه على الماء))[1].
- وفى الترمذى "أن الماء خلق قبل العرش".
- وروى السدى فى تفسيره بأسانيد متعددة أن الله لم يخلق شيئا مما خلق قبل الماء[2].

والافادات الصريحة الواضحة المتعددة أقوى من الظن الواحد المحتمل فى معناه وفى ثبوته، والعمل بالأقوى واجب لكونه أقرب إلى القطع[3].

هذا كله إن سايرنا ابن تيمية فى قفزته المخالفة للإجماع؛ لأن التعامل مع النصوص لا يلجأ فيه الباحث إلى الترجيح إلا بعد العجز عن الجمع بين الأدلة، يقول الحافظ ابن حجر عن الحديث الذى استدل به ابن تيمية "كان الله ولم يكن شيء قبله": تقدم فى بدء الخلق بلفظ "ولم يكن شيء غيره" وهي أصرح فى الرد على من أثبت حوادث لا أول لها من رواية الباب يعنى حديث "كان الله ولم يكن شيء قبله" وهي من مستشنع المسائل المنسوبة لابن تيمية، ووقفت فى كلام له على هذا الحديث يرجح الرواية التى فى هذا الباب على غيرها، مع أن قضية الجمع تقتضى حمل هذه [كان الله ولم يكن شيء قبله] على التى فى بدء الخلق [كان الله ولم يكن شيء غيره] والجمع يقدم على الترجيح بالاتفاق[4].

يقصد أن الراوى للحديث [كان الله ولم يكن شيء قبله] يقصد ما يقصده باقى الرواة المعبرين عن نفس الموضوع، بأنه كان الله ولم يكن شيء غيره، والقرينة التى تدل على قصده:

---

[1] مسند الإمام أحمد -الفتح- 3,20-4 هذا الحديث لا يسلم به الأشاعرة لأن فى سنده حماد بن سلمة مختلط، وكان يدخل ربيباه فى حديثه ما شاءا، ...ويعلى بن عطاء فى سنده تفرد به عن وكيع بن حدس أو عدس وهو مجهول الصفة، وهو تفرد به عن أبى رزين، ولا شأن للمفردات والوحدان فى إثبات الصفات فضلا عن المجاهيل وعن به اختلاط تكملة السيف 109.

[2] فتح البارى 98,7، العينى على البخارى 214,7. الفتح الربانى على مسند الإمام أحمد 3,2

[3] نهاية السول 172,3

[4] فتح البارى 181,17

1) أن روايته بدأت بالسؤال عن بدء الخلق وأول الأمر "جئناك ... لنسألك عن أول هذا الأمر"[1].

والواجب على قارئ النص الالتفات إلى أول الكلام وآخره وما اقتضاه الحال، لا ينظر في أوله دون آخره، ولا في آخره دون أوله حتى يتبين له المراد، يقول ابن تيمية: التأويل المقبول هو ما دل على مراد المتكلم[2].

2) أن راويه وهو الصحابي الجليل عمران بن حصين -رضي الله عنه- صرح بقصده في رواية أخرى، بما يعبر على أن لجميع هذا الكون بداية، قال: قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: ((يا أهل اليمن اقبلوا البشرى إذ لم يقبلها بنو تميم))، قالوا: قبلنا. قال عمران بن حصين: فأخذ النبي -صلى الله عليه وسلم- يحدث بدء الخلق والعرش[3]. أي عن بدء الخلق والعرش.

وما يفيده هذا الحديث هو ما يؤمن به السلف الصالح، قال الإمام الطحاوي في عقيدته التي يعبر بها عن عقيدة السلف وأقوالهم:

"ما زال بصفاته قديما قبل خلق الخلق ... ليس بعد خلق الخلق استفاد اسم الخالق، ولا بإحداثه البرية استفاد اسم الباري"[4]

ومضمون كلامهم أنه لم يكن شيء مع الله، والسلف بما فيهم عمران بن حصين-رضي الله عنهم- أعلم بأقوال رسول الله -صلى الله عليه وسلم- وأدرى بدلالات كلامه من ابن تيمية.

ب. لأن فهمه بأن العرش حادث فردا قديم نوعا، وأن نوعه يشارك الله في الأولية والقدم، يؤدي به إلى التهافت[5]، لأنه حين يكون كل فرد مسبوقا بالعدم، يكون الكل كذلك، أي مسبوقا بالعدم؛ لأنه لا وجود للنوع إلا في ضمن أفراده كما تقدم،

---

[1] البخاري -السندي- 172,4

[2] درء التعارض 201,1

[3] البخاري -العيني- 212,7

[4] العقيدة الطحاوية -الهرري- 36-37

[5] الشريعة ليس فيها باطل ولا تدل عليه ﴿لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد﴾

فليست الجملة شيئا أكثر من الأفراد مجتمعة، فإذا كان كل فرد حادثا، لزم من ذلك حدوث الجملة قطعا[1].

ومعنى كون الكل حادثا أنه مسبوق بالعدم، وأن الله كان ولم يكن شيء غيره.

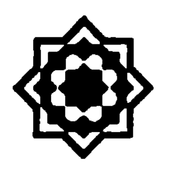
8. إن تحديد ابن تيمية للفرق بين صوت الله وصوت البشر، بأن صوت الله يسمعه من بعد كما يسمعه من قرب[2]، لم يعد اليوم يقنع أحدا، بعد ما أدت نتائج التقنية والعلم الحديث إلى أن أصوات المخلوقات كذلك، تسمع من قرب ومن بعد، بواسطة الهاتف والإذاعة المرئية والمسموعة...

فإن قلت: إن هذه المشابهة جاءت بواسطة الآلات بخلاف صوت الله القوي بذاته:

فالجواب:

1) أن ابن تيمية حدد الفرق بانفراد الله بالإسماع من بعد ومن قرب.

2) أن من المخلوقات من يسمع بنفسه من بعد ومن قرب بلا واسطة، كجبريل الذى صاح صيحة فى ثمود سمعها كل أهل ثمود، وكالميت حين يوضع على السرير –النعش– فيصيح صيحة يسمعها كل شيء إلا الثقلان.



---

[1] انظر ما تقدم من التقويم فى بداية التحليل رقم 1

[2] شرح العقيدة الأصفهانية 28

التقويم من حيث النص

جعل ابن تيمية مستنده في إثبات عقيدة الصوت لله القرآن الكريم والسنة النبوية.

1. **القرآن الكريم**

استدل ابن تيمية بقوله تعالى: ﴿وناديناه من جانب الطور الأيمن﴾[1] الذي يدل عنده على أنه يتكلم بحروف وألفاظ وصوت[2]، لأنه لا يصح في العقل نداء غير مسموع لنا، ولا يسمع إلا الصوت.

الجواب:

هذا النص وغيره من النصوص التي استند إليها ابن تيمية، لا تثبت ما يريد إثباته عن طريقها، فالنداء طلب الإقبال عند النحاة واللغويين، وطلب الإقبال عند البشر مشروط فيه الصوت واللفظ والحرف، لكن ما الدليل على أن نداء الله كذلك يشترط فيه اللفظ والصوت، والله ليس كمثله شيء.

وعقيدة السلف أهل اللغة أن الله لا يشبه مخلوقاته، فلا يتكلم بحرف، ولا يقول بلفظ كعادة البشر:

يقول الصحابي الجليل علي بن أبي طالب -كرم الله وجهه-: إن الله كلم موسى-عليه السلام- بلا جوارح، ولا أدوات، ولا حروف، ولا شفة، ولا لهوات، سبحانه عن تكييف الصفات.

- **ويقول:**

آمر بلا حروف، قائل لا بألفاظ[3].

---

[1] مجموع الفتاوى 531،6

[2] المرجع السابق والجزء 532

[3] الانصاف للباقلاني 90 ابن تيمية ليس سلفيا 69-70

- ويقول الإمام أبو حنيفة في كتابه الفقه الكبير ص51 :الله تعالى يتكلم بلا آلـــة ولا حروف، والحروف مخلوقة، وكلام الله تعالى غير مخلوق.
- ويقول الجنيد -من أئمة التصوف السابقين-: جلّت ذاته عن الحـــدود، وجـــلّ كلامه عن الحروف، فلا حدّ لذاته، ولا حروف لكلامه[1].

والجنيد إمام هدي كما قال ابن تيمية[2].

وهذه النقولات تبطل دعوى الإجماع في قول ابن تيمية: إن الله تكلم بـــالقرآن بحروفه ومعانيه بصوت نفسه، كما ثبت بالكتاب والسنة والإجماع[3].

فأين هذا الإجماع الذى أكده ابن تيمية ؟

ثم إن تحليله للنص القرآني يخالف منهجه الذي بينه في فتاويه، والذي نص فيه على ((أن السلف كانوا يراعون لفظ القرآن والحديث فيما يثبتونه))[4] ولو رعاه لقال: نادى الله موسى ولم يزد، بدون بحث في الكيفية.

فهو قد خالف منهجه، وخالف عقيدته التي يؤمن بها ((أن صوت الله يسمعه من بعد كما يسمعه من قرب)) لأنه إذا كان نداء الله لموسى بصوته الذى يســمعه من بعد ومن قرب فلم اقتصر سماعه على موسى ؟

فإن أجاب بأن صوت الله يتفاوت قوة وضعفا، ويرتفع وينخفض ويتعدد ويتنوع تناقض مع قوله بأنه صوت لا كأصواتنا؛ لأن أصوات البشر هكــذا تتفــاوت وتتعدد وتتنوع، والله يقول عن نفسه ﴿ليس كمثله شيء﴾

وإن أجاب بأني اعتمدت في هذا على الأحاديث، فليس في الأحاديث الصحيحة ما يثبت الصوت لله من أصله، والأحاديث الضعيفة والموضوعة لايستدل بهـــا في مجال العقيدة.

وأشهر الأحاديث التي استند إليها ابن تيمية في إثبات الصوت لله:

---

[1] الإنصاف 90
[2] مجموع الفتاوى 491,5
[3] مجموعة الرسائل والمسائل لابن تيمية 154,3
[4] مجموع الفتاوي 432,5

1- ما رواه البخاري عن أبى سعيد الخدرى -رضي الله عنه- قال: قال النبي -صلى الله عليه وسلم-: ((يقول الله: يآدم، فيقول: لبيك وسعديك، فينادى بصوت: إن الله يأمرك أن تخرج من ذريتك بعثا إلي النار))[1]

فظاهر هذا الحديث عند ابن تيمية يدل على أن لله صوتا.

وتأويله هذا يدعو إلي الأخذ بالظاهر مع وجود القرينة الصارفة عنه، وهو ما لا يجوز في تحليل النصوص، فقولك: ((رأيت أسدا يخطب على المنبر)) لا يجوز أن تقول إن المقصود من لفظ الأسد فيه الحيوان المفترس، لوجود القرينة الصارفة عن هذا القصد، وهي ((يخطب على المنبر)).

وكذلك الأمر في الحديث الشريف، فجملة ((إن الله يأمرك)) قرينة صارفة عن نسبة الصوت إلى الله، لأنه لو كان الله هو المنادى بصوت لقال ((إني آمرك)) مما يدل على أن المنادى ملك بأمر الله، لأن من يخبر عن غيره يأتي باسمه الظاهر.

يقول ابن تيمية: موجب اللغة التي بها خوطبنا، أن ضمير المتكلم لا يقوله إلا المتكلم، فأما من أخبر عن غيره، فإنما يأتي باسمه الظاهر ...إن السلطان إذا أمر غيره أن ينادي أو يكلم غيره أو يخاطبه فإن المنادي ينادي: معاشر الناس، أمر السلطان بكذا[2].

وهذا ما أوضحه خيثمة -رضي الله عنه- في قوله: يناد مناد يوم القيامة: يخرج بعث النار من كل ألف تسعمائة وتسعون[3]. فنسب النداء للمنادى.

والتعبير في حديث أبي سعيد السابق مشابه للتعبير في الحديث الذى سأل فيه رسول الله -صلى الله عليه وسلم- جبريل عن تأويل آية ﴿خذ العفو...﴾ فقال:

---

[1] في باب قول الله تعالى ﴿ولاتنفع الشفاعة عنده إلا بإذنه﴾ البخاري-السندي- 180,4

[2] مجموع الفتاوى 417,5

[3] أخرجه أبو نعيم في الحلية الدر المنثور 310,6 ومما يستأنس به في التوجيه أيضا حديث ابن مسعود فهو وإن كان ضعيفا، فالأحاديث الضعيفة يستدل بها في التوجيه، ونصه: ((إن الله عز وجل يبعث يوم القيامة مناديا ينادى يا آدم إن الله يأمرك أن تبعث بعثا من ذريتك إلى النار .)) مسند الإمام أحمد -الفتح- 116,24 وانظر كتاب أثر الحديث الشريف لمحمد بن عوامة الذي يثبت استعانة السلف بالحديث الضعيف في التوجيه.

حتى أسأل، فصعد، ثم نزل، فقال: يا محمد، إن الله يأمرك أن تصفح عمن ظلمك، وتعطي من حرمك، وتصل من قطعك))[1].

ومشابه للأثر الذي أخرجه ابن عساكر والواسطي عن يزيد بن جابر: يقف إسرافيل على صخرة بيت المقدس، فينفخ في الصور، فيقول: يأيتها العظام النخرة، والجلود المتفرقة، والأشعار المتقطعة، إن الله يأمرك أن تجتمعي لفصل الحساب[2].

فالقاعدة -كما قال ابن تيمية- أن من يخبر عن غيره فإنما يأتي باسمه الظاهر، ولهذا علمنا أن المنادى في الحديث ((فينادى بصوت، إن الله يأمرك..)) ملك يخبر عن الله سبحانه.

2- حديث السلسلة

من الأحاديث التي استدل بها ابن تيمية على إثبات الصوت لله تعالى، قوله صلى الله عليه وسلم: ((إذا تكلم الله بالوحي، سمع أهل السماء كجر السلسلة على الصفا)) الذي يدل على إثبات صوت لله يشبه الصوت الذي يحدث عند جر السلسلة على الصفا والصخر.

الجواب

أ. أن هذا الحديث جاء بيانه في قوله صلى الله عليه وسلم فيما رواه أبو داود بلفظ ((سمع أهل السماء للسماء صلصلة كجر السلسلة على الصفوان))[3] الذي يدل على أن الصوت للسماء، والقاعدة في تفسير النصوص ((أن خير ما يفسر به الوارد)).

ب. أن في الحديث قرينة تدل على أن الصوت لغير الله، وهي التشبيه ((كجر السلسلة)).

فحين شبهه عرف أنه لا يقصد الله، لأن الله ﴿ليس كمثله شيء﴾.

---

[1] الدر المنثور 166،3

[2] المرجع السابق 122،6

[3] أخرجه أبو داود في سننه: كتاب السنة: باب في القرآن

والأخذ بالظاهر الحرفي مع وجود القرينة الصارفة لا يجوز في تحليل النصوص، قال ابن تيمية في الفتيا الدمشقية:

إن الظهور يكون بالوضع اللغوي، أو العرفي، أو الشرعي، أو بما اقترن باللفظ المراد من التركيب الذي تتغير به دلالته في نفسه، أو بما اقترن به من القرائن اللفظية التي تجعلها مجازا... وسياق الكلام الذي يعين أحد محتملات اللفظ[1].

ووجود القرينة في الحديث يعبر عن:

- بيان النبي -صلى الله عليه وسلم- لمقصده من الكلام.
- عدم تدبر من يأخذ بالظاهر الحرفي للنص، واستعجاله في وصف الله بما لم يصف به نفسه، ولم يصفه به رسول -صلى الله عليه وسلم-.

والفتيا الدمشقية لابن تيمية:

- تعيننا على تفهم النص السابق، وتؤكد صحة التحليل.
- تبين تعارض ابن تيمية في فتاويه، ففي مواطن منها ينكر المجاز، ويعلن عدم وجوده في اللغة، وفي هذه الفتيا يصرح بوجوده، ويثبت وقوعه.

ج. أن تحليله يتعارض مع استدلالته التي وصف فيها صوت الله بأنه جميل، لأن صوت جر السلسلة على الصخر عنيف مزعج، يبعث القلق في النفس، ويدخل عليها الضيق والاستياء.

3- ما رواه البخاري في باب قول الله تعالى: ﴿ولا تنفع الشفاعة عنده إلا بإذنه﴾، قال: ويذكر عن جابر عن عبدالله بن أنيس قال: سمعت النبي -صلى الله عليه وسلم- يقول: ((يحشر الله العباد، فيناديهم بصوت، يسمعه من بعد كما يسمعه من قرب، أنا الملك، أنا الديان))[2].

وهذا الحديث يدرس من ناحيتين:

- من حيث صحته.
- من حيث دلالته.

---

[1] شرح نونية ابن القيم 131

[2] البخاري -الفتح- 234,17

من حيث الصحة.

هذا الحديث رواه البخاري في صحيحه بصيغة التمريض [[ويذكر عن جابر]] دلالة على أنه ليس على شرطه.

وأخرجه في كتابه الأدب المفرد، وأخرجه أحمد وأبو يعلى والطبراني كلهم من طريق همام بن يحي عن القاسم بن عبد الواحد المكي عن عبدالله بن محمد بن عقيل[1]، فمدار الحديث على عبد الله بن محمد بن عقيل، الذي قال عنه الإمام أحمد: منكر الحديث، وعن ابن معين: ابن عقيل لا يحتج بحديثه، وقال عنه ابن المديني: كان ضعيفا. وقال النسائي: ضعيف. وقال ابن خزيمة: لا أحتج به لسوء حفظه، وقال عنه الذهبي: لا يرتقى خبره إلى درجة الصحة والاحتجاج.

وللحافظ المقدسي جزء في تبيين وجوه الضعف في الحديث المذكور[2].

ولا يعتمد على توثيق الهيثمي لرواية أحمد، لأن مدارها أيضا عن القاسم بن محمد.

ويدافع بعض العلماء بما ذكره ابن حجر في الفتح (174,1) بأن له طريقا آخر، أخرجه الطبراني في مسند الشاميين، وتمام في فوائده، من طريق الحجاج بن دينار عن محمد بن المنكدر، عن جابر بمعنى حديث أنيس.

قال عنه ابن حجر: إسناده صالح.

والجواب -كما قال الشيخ حسن السقاف- كيف يقبلون قول الحافظ ابن حجر ((وإسناده صالح)) مع أن إسناده غير صالح، لوجود المجاهيل في طريق الطبراني في مسند الشاميين، وتلف إسناد الخطيب، ويرفضون بعد ذلك قول الحافظ في ((التلخيص)) عن حديث التلقين للميت بعد الدفن وإسناده صالح؟

فعثمان الصيداوي الذي في سند الطبراني في مسند الشاميين، وشيخه سليمان بن صالح مجهولان، وشيخ الثاني وهو عبد الرحمن بن ثابت صدوق يخطئ، رمي بالقدر، تغير بأخرة كما في التقريب[3].

---

1 فتح الباري 234,17

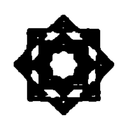
2 تكملة السيف الصقيل 71-72

3 إلقام الحجر على المتطاول على الأشاعرة 31

وعلى فرض صحة الحديث فلا نص فيه على أن الصوت لله؛ لأن الضمير المستتر في الفعل "يناديهم بصوت" يرجع إلى القائم بالحشر، أي أن المنادى هو الحاشر، والحاشر للعباد يوم القيامة الملائكة ﴿إن الذين سبقت لهم منا الحسنى أولئك عنها مبعدون لا يحزنهم الفزع الأكبر وتتلقاهم الملائكة هذا يومكم الذي كنتم توعدون﴾، أخرج أحمد والنسائي والحاكم وصححه والبيهقي عن أبي ذر قال: حدثني الصادق المصدوق -صلى الله عليه وسلم-: ((أن الناس يحشرون يوم القيامة على ثلاثة أفواج: فوج راكبين طاعمين كاسين، وفوج يمشون ويسعون، وفوج تسحبهم الملائكة على وجوههم، وتحشرهم إلى النار))[1]

وأسند الرسول -صلى الله عليه وسلم- الفعل إلى الله، لأنه الآمر به، قال الله تعالى: ﴿ونحشرهم يوم القيامة على وجوههم﴾

وهذا التحليل موافق لقاعدة ابن تيمية في تأويل النصوص التي تقول: إن الأفعال والألفاظ التي وردت في القرآن عن الله، مشتملة على ضمائر الجمع، والتي تتحدث عن تدبير الكون، مثل: إنا، ونحن، ونحيي، ونميت، ونعلم، ونكتب، ونسمع، وكذلك الأسماء المشتقة مثل: حافظون، ومنتقمون... تدل على الله باعتباره الآمر، وتدل على الملائكة باعتبارها المباشرة للأفعال[2].



---

[1] الحاوي للفتاوى للسيوطي 197,2 وفي مسند الإمام أحمد الوليد بن جمع روى له مسلم متابعة، واحتج به النسائي مسند الإمام أحمد مع الفتح 101,24 وفي البخاري ومسلم والنسائي: ((يحشر الناس يوم القيامة على ثلاثة طرائق: راغبين وراهبين، واثنان على بعير وعشرة على بعير، وتحشر بقيتهم النار))، وعند ابن مردويه عن المتقين ((يؤتون بنوق من الجنة)) قاله في تفسير قوله تعالى: ﴿ونحشر المتقين إلى الرحمن وفدا﴾ وعند ابن أبي شيبة والحاكم وصححه ((ما يحشرون على أرجلهم ولا يساقون سوقا. ولكنهم يؤتون بنوق من نوق الجنة)) الدر 313,4

[2] مجموع الفتاوى 512,5-513

أمثلة القاعدة:

1. قال الله تعالى: ﴿فإذا قرأناه فاتبع قرآنه﴾[1] جاء فيه الفعل بصيغة الجمع ﴿قرأناه﴾ ليدل على الله باعتباره الآمر، ويدل على جبريل باعتباره المباشر للقراءة والقائم بها[2].

2. قال الله تعالى: ﴿ولقد جئناهم بكتاب﴾[3] والآتي به جبريل، وأسند الله الإتيان إليه باعتباره الآمر.

3. قال الله تعالى: ﴿فجعلنا عاليها سافلها﴾[4] ويقال فيه ما قيل في الأول والثاني، عن الحسن أن جبريل -عليه السلام- اجتث مدينة قوم لوط من الأرض، ثم رفعها بجناحه، حتى بلغ بها حيث شاء، ثم جعل عاليها سافلها[5].

4. قال الله تعالى: ﴿فبشرناها بإسحاق ومن وراء إسحاق يعقوب﴾[6] قال السدي: قال جبريل لسارة: أبشري بولد اسمه إسحاق، ومن وراء إسحاق يعقوب[7].

5. قال الله تعالى: ﴿فطمسنا أعينهم﴾[8] والمباشر للطمس جبريل كما قال ابن عباس[9].

6. قال الله تعالى: ﴿فسقناه إلي بلد ميت﴾[10] والسائق له ملك، أخرج أحمد والترمذي وصححه والنسائي وابن أبي حاتم وأبو الشيخ في العظمة أن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- قال: ((الرعد ملك من ملائكة الله، موكل بالسحاب، بيديه

---

[1] القيامة 17
[2] انظر الدر المنثور 321,6
[3] الأعراف 51
[4] هود 81
[5] الدر المنثور 374,3
[6] هود 70
[7] المرجع السابق والجزء 369
[8] القمر 37
[9] المرجع السابق والجزء 373
[10] فاطر 9

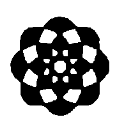
مخراق من نار، يزجر به السحاب، يسوقه حيث أمره الله))[1] ونسب الله الفعل لنفسه باعتباره الآمر.

7. قال الله تعالى: ﴿ونكتب ما قدموا وآثارهم﴾[2] فأخبر بالكتابة بصيغة الجمع، لأن جنده يكتبون بأمره ﴿ما يلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد﴾[3].

8. قال الله تعالى: ﴿ونعلم ما توسوس به نفسه﴾[4] فدل على علم الله، وعلى علم الملائكة ﴿أم يحسبون أنا لا نسمع سرهم ونجواهم بلى ورسلنا لديهم يكتبون﴾[5] فهو يسمع ومن يشاء من الملائكة يسمعون ﴿وإن عليكم لحافظين كراما كاتبين يعلمون ما تفعلون﴾[6].

9. قال الله تعالى: ﴿ونحن أقرب إليه من حبل الوريد إذ يتلقى المتلقيان عن اليمين وعن الشمال قعيد﴾[7] فعبر بصيغة الجمع ((نحن)) مثلما عبر في قوله تعالى ﴿ونكتب ما قدموا﴾ لما كانت ملائكته متقربين إلي العبد بأمره[8].

10 -13- وكذلك القول في قوله ﴿ونسوق المجرمين إلي جهنم وردا﴾ ﴿ولقد وصلنا لهم القول﴾ ﴿نصليه جهنم﴾ ﴿سندخلهم جنات...﴾ مما نسب الله الفعل فيه لنفسه باعتباره الآمر.



---

[1] المرجع السابق 58,4

[2] يسين 11

[3] ق 18

[4] ق 16

[5] الزخرف 80

[6] الانفطار 10-12

[7] ق 16-17

[8] انظر الفتاوى لابن تيمية 512,5-513

القاعدة

الأفعال والكلمات التي وردت في القرآن تتحدث عن تدبير[1] الكون بصيغة الجمع، تدل على الله باعتباره الآمر، وتدل على الملائكة باعتبارها المباشرة للفعل.

تطبيق القاعدة على الموضوع

14-18 بتطبيق هذه القاعدة على قوله تعالى: ﴿ونحشرهم يوم القيامة على وجوههم﴾[2] ﴿فوربك لنحشرنهم والشياطين ثم لنحضرنهم حول جهنم جثيا﴾[3] ﴿يوم نحشر المتقين إلى الرحمن وفدا﴾[4] ﴿يوم ندعوا -ننادى- كل أناس بإمامهم﴾[5] نستنتج أن الحاشر والمحضر والمنادى هم الملائكة، وأن الإسناد في الحديث الشريف السابق ((يحشر الله العباد، فيناديهم بصوت)) إسناد مجازى، وأن المباشر والقائم بالفعل هم الملائكة.

ويدل على صحة هذا الاستنتاج والتأويل من القرائن المنفصلة:

- بالنسبة للحشر والإحضار الأحاديث التي تنبئ عن أن الملائكة هم القائمون بهما، وقد تقدم بعضها.
- بالنسبة للنداء:

أ. ما قاله خيثمة -رضي الله عنه-: ((ينادِ منادٍ يوم القيامة، يخرج بعث النار من كل ألف تسعمائة وتسعون))[6].

---

[1] يعني هذا القيد أنه لا يقصد به مثل قوله تعالى ﴿نحن نرث الأرض﴾، مما لا علاقة له بالتدبير، كما لا تشمل هذه القاعدة ما أكدت القرائن مباشرته فيه للفعل بنفسه.

[2] الإسراء 97

[3] مريم 67

[4] مريم 85

[5] الإسراء 71

[6] أخرجه أبو نعيم في الحلية الدر المنثور 310،6

ب. ما أخرجه ابن أبي حاتم عن محمد بن كعب القرظي -رضي الله عنه- قال: يحشر الله الناس يوم القيامة... وينادى مناد، فيسمع الناس الصوت يأتونه، فذلك قول الله تعالى: ﴿يومئذ يتبعون الداعي -المنادى- لاعوج له﴾[1].

فأسند في هذا الأثر وفي الذي قبله النداء لغير الله، ومثل هذا لا يقال بالرأي.

وكلام القرظي كأنه تفسير لحديث البخاري السابق ((يحشر الله العباد، فيناديهم بصوت)) مما يؤكد صحة القاعدة السابقة في التأويل، التي تنص على أن نون الجماعة في مثل قوله تعالى: ﴿يوم ندعوا -ننادى- كل أناس بإمامهم﴾ تدل على الله باعتباره الآمر، وتدل على الملائكة باعتبارها المباشرة للفعل، قال ابن مسعود -رضي الله عنه-: "إنكم مجموعون بصعيد واحد، ينفذ كم البصر، وتسمعون الداعي"[2].

ج. ما رواه الطبراني عن ابن مسعود عن النبي -صلى الله عليه وسلم- قال: ((يجمع الله الأولين والآخرين لميقات يوم معلوم... ثم ينادى مناد: أيها الناس...))[3] فنسب النداء للمنادى.

د. ما أخرجه ابن القيم في حادي الأرواح -في هامش أعلام الموقعين 97,2- عن الدارقطني من حديث أبي موسى: ((يبعث الله يوم القيامة مناديا بصوت، يسمعه أولهم وآخرهم))[4].

وفي هذا الحديث بيانان:

- البيان الأول أن المنادى هو الملائكة، وأن من صفات الملائكة إحداث الصوت، وفي حديث مسلم ((فبينا أنا أمشي، سمعت صوتا من السماء، فرفعت رأسي، فإذا الملك الذي جاءني بحراء))[5].

---

[1] الدر المنثور 338,4

[2] رواه الطبراني ورجاله رجال الصحيح غير رباح النخعي وهو ثقة مجمع الزوائد 346,10

[3] المرجع السابق والجزء 343 ورجاله رجال الصحيح غير الدالاني وهو ثقة

[4] تكملة السيف الصقيل 172 وهذا الحديث يقوى حديث ابن مسعود -رضى الله عنه-، والذي جاء فيه: ((إن الله عز وجل يبعث يوم القيامة مناديا ينادى: يا آدم، إن الله يأمرك أن تبعث بعثا من ذريتك إلى النار)) مسند الإمام أحمد -الفتح- 116,24

[5] مسلم -الأبي- 301,1

- البيان الثاني أن معنى الجملة التي وردت في حديث أنيس ((يسمعه من بعد كما يسمعه من قرب)) هو معنى جملة ((يسمعه أولهم وأخرهم)).

فإن قلت: جاء في حديث الحشر أن المنادى يقول: ((أنا الديان، أنا الملك)) مما يدل على أن المنادى هو الله.

والجواب:

1. أن النصوص دلت على أن المنادى ملك من الملائكة وأن نسبة النداء لله نسبة مجازية.

2. أن هذا التعبير في صياغته مشابه لـــ:

أ. ما جاء في صحيح البخاري في حديث المعراج الذي ذكر فيه تخفيف الصــلاة من الخمسين إلى خمس ((فلما جاوزت ناداني مناد: أمضيت فريضتي، وخففت عن عبادي))[1].

ب. ما أخرجه ابن جرير عن سليمان التيمي قال: سمعت أن الناس حــين يبعثــون ليس فيهم إلا فزع، فينادى مناد: ((ياعبادي لا خوف علــيكم اليــوم ولا أنــتم تحزنون))[2] فهذان نصان يدلان على أن الملك يقول مبلغا عن الله.

ج. قال الله تعالى: ﴿ونادى فرعون في قومه قال يا قوم أليس لي ملك مصر..﴾[3] فنسب الله النداء والقول إلى فرعون مع أنه لم يباشر واحدا منهما، أخرج ابن المنذر عن ابن جريج في قوله تعالى: ﴿ونادى فرعون في قومه﴾ قال: ليس هو نفســه، ولكن أمر أن ينادى[4].

د. قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: ((ينزل ربنا إلي السماء الدنيا في الثلث الأخير من الليل، يقول هل من تائب فأتوب عليه، هل مــن مســتغفر فــأغفر له..)) فنسب القول إلى الله وأضاف الجزاء إليه ((فأتوب عليه: فأغفر له)) مع أن المباشر للقول هو الملك، كما جاء بيانه في حديث: ((ينادى مناد كل ليلــة،

---

1 أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب مناقب الأنصار، باب المعراج -السندي- 233،2

2 الدر المنثور 24،6 وهذا الأثر أيضا من القرائن المنفصلة التي تنسب النداء لغير الله

3 الزخرف 50

4 الدر 21،6

هل من داع فيستجاب له، هل من سائل فيعطى))[1] وجاء في حديث أبي هريرة وأبي سعيد أن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- قال: ((إن الله عز وجل يمهل حتى يمضي شطر الليل، فينادي مناد: هل من داع يستجاب له، هل من مستغفر يغفر له، هل من سائل يعطى))[2].

وأخرجه الطبراني بلفظ ((تفتح أبواب السماء نصف الليل فينادي مناد: هل من داع فيستجاب له، هل من سائل فيعطى، هل من مكرب فيفرج عنه))[3].

ه. قال الله تعالى عن آدم وحواء ﴿وناداهما ربهما ألم أنهكما عن تلكما الشجرة وأقل لكما إن الشيطان لكما عدو مبين﴾[4]

فنسب الله النداء والقول إليه، مع أن المباشر له الملك[5].

ملاحظة

طريقة التعبير الديني، وعادة الاستعمال الشرعي حين تسند الفعل إلى الله والملائكة لا تقتصر على صيغة الجمع:

19. قال الله تعالى: ﴿سبحان الذي أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى﴾[6].

ففي هذه الآية أسند الله الفعل لنفسه ((أسرى)) بصيغة الإفراد، مع أن القائم به هو البراق تحت إشراف جبريل -عليه السلام-[7]

20. قال الله تعالى: ﴿وما كان لبشر أن يكلمه الله إلا وحيا أو من وراء حجاب أو يرسل رسولا﴾[8].

---

[1] مسند الإمام 22,4

[2] صححه الحافظ أبو محمد عبد الحق المقالات السنية 102

[3] رواه البراني ورجاله رجال الصحيح مجمع الزوائد 153,10

[4] الأعراف 21

[5] المقالات السنية للمحدث الهرري 116

[6] الإسراء 1

[7] انظر أحاديث الإسراء والتفاسير في هذه الآية

[8] الشورى 48

فأسند الله الكلام إليه في الحالات الثلاث، مع أن المباشر للكلام في الصورة الثالثة هو الملك، وأسنده الله لنفسه باعتباره المرسل والآمر.

21. قال الله تعالى: ﴿الله يتوفى الأنفس حين موتها﴾[1] فأسند التوفي إليه، مع أن المباشر له هو الملك، قال الله تعالى: ﴿قل يتوفاكم ملك الموت الذي وكل بكم﴾[2].

22. قال الله تعالى: ﴿يوم يجمعكم ليوم الجمع﴾[3] مع أن القائم بالحشر والجمع هم الملائكة، أخرج ابن جرير في قوله تعالى: ﴿واستمع يوم يناد المناد من مكان قريب﴾[4] عن بريدة قال: ملك قائم على صخرة بيت المقدس، واضع في أذنيه، ينادي يقول: يأيها الناس هلموا إلى الحساب.

وأخرج ابن عساكر والواسطي عن يزيد بن جابر في قوله تعالى﴿واستمع يوم ينادى المنادى﴾ قال: يقف إسرافيل على صخرة بيت المقدس، فينفخ في الصور، فيقول: يأيتها العظام النخرة، والجلود المتفرقة، والأشعار المتقطعة، إن الله يأمرك أن تجتمعي لفصل الحساب[5].

23-24- قال الله تعالى: ﴿إن الله جامع المنافقين والكافرين في جهنم جميعا﴾[6] ﴿ربنا إنك جامع الناس ليوم لا ريب فيه﴾[7].

ويقال فيهما ما قيل في النص السابق.

25-26- قال الله تعالى: ﴿هو الذي يريكم البرق خوفا وطمعا وينشيء السحاب الثقال﴾[8].

---

[1] الزمر 39
[2] السجدة 11
[3] التغابن 9
[4] ق 41
[5] الدر المنثور 122،6
[6] النساء 129
[7] آل عمران 9
[8] الرعد 13

ويقول رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: ((إن الله عز وجل ينشىء السحاب))[1] ففي هذين النصين نسب الله ورسوله -صلى الله عليه وسلم- إنشاء السحاب إلى الله، لأنه الآمر به، بالرغم من أن المباشر له ملك من الملائكة:

- أخرج ابن مردويه عن جابر بن عبد الله أن خزيمة بن ثابت -رضي الله عنه- سأل رسول الله -صلى الله عليه وسلم- عن منشأ السحاب، قال: ((إن ملكا موكل بالسحاب، يلم القاصية، ويلجم الدانية، في يده مخراق، فإذا رفع برقت، وإذا زجر رعدت، وإذا ضرب صعقت))[2].

- وأخرج أحمد والترمذي وصححه والنسائي وابن المنذر وابن أبي حاتم وأبو الشيخ في العظمة أن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- قال: ((الرعد ملك من ملائكة الله، موكل بالسحاب، بيديه مخراق من نار، يزجر به السحاب. يسوقه حيث أمره الله))[3].

27. ومثل النص السابق قوله تعالى: ﴿وهو الذي ينزل الغيث من بعد ما قنطوا﴾[4] والمسؤول عن الغيث ملك من الملائكة، جاء في الحديث الشريف ((استأذن ملك القطر -المطر- أن يسلم على النبي -صلى الله عليه وسلم-))[5].

28. قال الله تعالى: ﴿فتلقى آدم من ربه كلمات﴾[6] وتلقيه كان عن جبريل المرسل من رب العالمين، كما جاء عن ابن عباس[7]، وأضيف التلقي إلى الله باعتباره الآمر المرسل.

---

[1] رجاله ثقات مسند الامام أحمد 14,2

[2] أخرجه ابن مردويه الدر المنثور 58,4

[3] المرجع السابق والجزء والصفحة

[4] الشورى 26 المسؤول عن المطر ملك من الملائكة-ميكائيل- الدر 346,6

[5] رواه الطبراني وإسناده حسن. مجمع الزوائد 193,9

[6] البقرة 36

[7] الدر 65,1

29. عن مجاهد في قوله تعالى: ﴿السماء منفطر به﴾[1] قال: مثقلة بالله[2]، فأضاف سبب الانفطار إلى الله، مع أن سببه القريب هو الخوف من يوم القيامة، أخرج الطستيّ في مسائله عن ابن عباس، أن نافع الأزرق سأله عن قوله ﴿منفطر به﴾ قال: متصدع من خوف يوم القيامة. وأخرج عبد بن حميد عن الحسن في قوله ﴿السماء منفطر به﴾ قال: مثقلة بيوم القيامة[3]، وعن ابن جريج: إذا جاءت الساعة انشقت السماء[4].

والسياق يؤكد هذا، قال الله تعالى: ﴿يوما يجعل الولدان شيبا السماء منفطر به﴾ أي باليوم. وإنما أضافه مجاهد لله؛ لأن منشيء يوم القيامة، وسبب الخوف فيه هو عذاب الله وعقابه وهوله، أخرج عبد بن حميد وابن المنذر عن قتادة في قوله ﴿السماء منفطر به﴾ قال: مثقلة بذلك اليوم من شدته وهوله[5].

30. عن النعمان بن بشير أن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- قال: ((إن الله كتب كتابا قبل أن يخلق السماوات والأرض بألفي عام، فأنزل منه آيتين ختم بهما سورة البقرة))[6] فنسب الإنزال إلى الله مع أن القائم به جبريل -عليه السلام- ﴿قل نزله روح القدس﴾.

31. أخرج أحمد وأبو يعلي وابن حبان عن أبي سعيد عن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- قال: يقول الرب عز وجل: سيعلم أهل الجمع من أهل الكرم. فقيل: ومن أهل الكرم يا رسول الله، قال: أهل الذكر في المساجد))[7] فنسب فيه القول إلى الرب عز وجل باعتباره الآمر، مع أن المباشر للقول الملك، أخرج الحاكم وصححه، وابن مردويه والبيهقي في شعب الإيمان، عن عقبة بن عامر

---

[1] المزمل 18

[2] أدخلته في القاعدة لأنه لا يقال فيه بالرأي، بل يكون من باب النقل

[3] الدر 310,6

[4] انظر المرجع السابق 163,3-164

[5] الدر 310,6

[6] أخرجه أبو عبيد والدارمي والترمذي والنسائي وابن الضريس ومحمد بن نصر، وابن حبان، والحاكم وصححه والبيهقي في الاسماء والصفات الدر 389,1

[7] المرجع السابق 58,3

قال: كنا مع رسول الله -صلى الله عليه وسلم- في سفر، فقال: ((يجمع الناس في صعيد واحد، ينفذهم البصر، ويسمعهم الداعي، فينادي مناد: سيعلم أهل الموقف لمن الكرم اليوم)). وفي رواية ((فيقوم مناد فينادى))[1].

32. قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: ((يقول الله: يا آدم، فيقول لبيك وسعديك، فينادى بصوت: إن الله يأمرك أن تخرج من ذريتك بعثا إلى النار))[2] فنسب النداء إلى الله، مع أن القائم به ملك، كما سبق بيانه، لأن من يخبر عن غيره يأتي باسمه الظاهر، وهذا ما أوضحه خيثمة -رضي الله عنه- عند تفسير قوله تعالى: ﴿يوما يجعل الولدان شيبا﴾ قال: يناد مناد يوم القيامة: يخرج بعث النار، من كل ألف تسعمائة وتسعون، فمن ذلك يشيب الولدان.

وقد تقدم آنفا عند قوله تعالى: ﴿يوم ينادى المنادى﴾ أن القائم بالنداء الملائكة.

33. قال الله تعالى: ﴿وناداهما ربهما ألم أنهكما عن تلكما الشجرة﴾ مع أن المنادى ملك من الملائكة كما تقدم.

34. قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: ((ينزل ربنا إلى السماء الدنيا)) مع أن النازل ملك كما سبق إثباته.

35. جاء في حديث الشفاعة ((...فيأتي النبي -صلى الله عليه وسلم-ربه، فيخر ساجدا قدر جمعة، ويقول الله عز وجل: ارفع رأسك وقل تسمع واشفع تشفع))[3] فأسند فيه قول الجمل ((ارفع رأسك، وقل تسمع، واشفع تشفع)) إلى الله عز وجل، مع أن القائل هو جبريل، كما جاء بيانه في حديث آخر، يتكلم على نفس المشهد ((...فأوحى الله إلى جبريل -عليه السلام- أن اذهب إلى محمد، فقل له: ارفع رأسك، سل تعط واشفع تشفع))[4].

وهذا يدل على أن الصحابة والسلف الصالح مدركون لمعنى النصوص المتشابهة، عارفون بتأويلها المجازى، لأن اختلاف الروايات للمشهد الواحد،

---

[1] المرجع السابق والجزء 57-58

[2] البخاري-السندي- 180،4

[3] رواه أبو يعلي وأحمد ورجالهم ثقات مجمع الزوائد 377،10-378

[4] رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح المرجع السابق والجزء 376-377

يعبر عن أن الحديث روى بالمعنى، وأن بعضهم عبر مثلا ((بقال الله)) والآخر عبر ((بقال جبريل)) وكلا التعبيرين صحيح، لأن المعنى واضح، والمقصود ظاهر، وقد لفت القرآن الكريم من بداياته الأولى في مكة المكرمة أنظار المسلمين، إلى أن المباشر للأفعال والقائم بها هم الملائكة الكرام ﴿فالمدبرات أمراً﴾[1] سواء كان التعبير بصيغة الجمع أو بصيغة الإفراد.

والمدرك لعادة الاستعمال الشرعي، والمنتبه لأسلوبه في التعبير، تتجلي أمامه معاني كثير من النصوص المتشابهة. فيدرك القائم بها، والمباشر لعملها فـ:

- لا يجد إشكالا في فهم قوله -صلى الله عليه وسلم- : ((إن ربى عز وجل أتاني الليلة في أحسن صورة، فقال لي يا محمد، هل تدرى فيم يختصم الملأ الأعلى، فقلت: لا أعلم يا رب، قال:

فوضع كفيه بين كتفي، حتى وجدت برد أنامله في صدري، فتجلى لي ما بين السماء والأرض...))[2] لأن عادة الاستعمال الشرعي في مثل هذه النصوص تدل على أن الآتي ملك، والقرينة اللفظية في الحديث ((فوضع كفيه بين كتفي)) تؤكد هذا، وتفسير أهل الظاهر لها بأنها يد الله تفسير بعيد، لأن يد الله عندهم عظيمة تسع السماوات والأرض[3]، فكيف تنحصر فيما بين كتفي النبي -صلى الله عليه وسلم- بخلاف يد الملائكة، فالملائكة لها قدرة التشكل والتمثل ﴿فتمثل لها بشراً سويا﴾.

وأغلب الظن أن هذا الملك هو جبريل -عليه السلام- لأن ليد جبريل -كما جاء في الحديث الشريف- علاقة بالفتح والتجلي ((فيأخذ جبريل -عليه السلام- بضبعيه -أي النبي -صلى الله عليه وسلم- فيفتح الله عز وجل، عليه من الدعاء شيئا لم يفتحه على بشر قط))[4] قاله في أحداث القيامة.

---

[1] النازعات 5 ومن المعاني التي تدل عليها هذه الآية أيضا أن نسبة التصريف لغير الله في هذا الكون لا تدل على الشرك، لأن الكل يتصرف بإذن الله ومشيئته، فهم خدم وجند له سبحانه وتعالى.

[2] أخرجه الطبراني والخطيب ومحمد بن نصر الدر المنثور 353.5

[3] عندهم أن الأرض والسماوات في قبضته يوم الدين لا تساوى خردلة انظر كتاب التوحيد لابن عبد الوهاب 139

[4] رواه أحمد وأبو يعلي بنحوه والبزار ورجالهم ثقات مسند الامام مع الفتح 125.24-126

- وكذلك القول في قوله -صلى الله عليه وسلم-: ((إن الله خلق آدم على صورته)) فبعادة الاستعمال ندرك أن القائم بالخلق من أهل السماء، وأضيف الفعل إلى الله لأنه الآمر، وبالقرينة اللفظية ((على صورته)) ندرك نوع هذا القائم، وأنه من صنف الروح، فعن ابن عباس قال: الروح أمر من أمر الله، وخلق من خلق الله، وصورهم على صورة بني آدم[1].

وعن مجاهد قال: الروح يأكلون، ولهم أيد وأرجل ورؤس، وليسوا بملائكة[2].

ويكون معنى الحديث: إن روح الله خلق آدم على صورته.

وهذا التأويل موافق لعادة الاستعمال الشرعي وطريقته في التعبير، وموافق لقاعدة ابن تيمية التي تقول: إن الألفاظ الواردة في القرآن بصيغة الجمع التي تتحدث عن تدبير الكون مثل: إنا نحن، نميت، نعلم، نكتب، نسمع...تدل على الله باعتباره الآمر، وتدل على الملائكة باعتبارها المباشرة للأفعال[3]، قال الله تعالى عن خلق آدم بصيغة الجمع: ﴿ولقد خلقنا الإنسان من سلالة من طين﴾[4] ﴿ولقد خلقناكم ثم صورناكم ثم قلنا للملائكة اسجدوا لآدم﴾[5]، فأسند الله الخلق لنفسه باعتباره الآمر، وعبر بصيغة الجمع ليدل على مباشرة الروح للخلق، وهو ما تؤكده عادة الاستعمال الشرعي كما سبق بيانه.

والإضافة في قوله تعالى عن آدم: ﴿خلقت بيدي﴾ للتعظيم، كقوله تعالى عن بيعة الرضوان: ﴿يد الله فوق أيديهم﴾[7] وكقوله: ﴿ناقة الله﴾[8] ﴿بيت الله﴾ لأن

---

[1] الدر المنثور 123.4

[2] المرجع السابق 344.6

[3] سبق تقريرها

[4] المؤمنون 12

[5] الأعراف 10

[6] ص 74

[7] الفتح 10

[8] الشمس 13

القائم بالأمر في خلق آدم -عليه السلام- روح عظيم. عن عكرمة قال: الروح أعظم خلقا من الملائكة[1].

وعن ابن مسعود -رضي الله عنه- قال: الروح في السماء السابعة، وهو أعظم من السماوات والجبال ومن الملائكة. وعن الضحاك قال: الروح حاجب الله[2].

وإضافة الخلق إلى غير الله معهودة في النص الديني:

- أخرج أحمد ومسلم والبيهقي في الأسماء والصفات عن حذيفة بن أسيد الغفاري قال: سمعت رسول الله -صلى الله عليه وسلم- بأذني هاتين، يقول: ((إن النطفة تقع في الرحم أربعين ليلة)).

وفي لفظ ((إذا مر بالنطفة ثنتان وأربعون ليلة، بعث الله إليها ملكا، فصورها، وخلق سمعها وبصرها وجلدها ولحمها وعظمها...))[3].

فنسب التصوير والخلق للملك باعتباره المباشر للفعل، ونسبه الله إلى نفسه باعتباره الآمر **﴿فإنا خلقناكم من تراب ثم من نطفة ثم من علقة﴾... ﴿ولقد خلقناكم ثم صورناكم﴾ ﴿ولقد خلقنا الإنسان من نطفة﴾** والتعبير بصيغة الجمع ((خلقناكم)) ((صورناكم)) يؤكد صحة القاعدة السابقة، وشمولية قوله تعالى **﴿فالمدبرات أمرا﴾** للخلق والتصوير.

- **قال الله تعالى عن عيسى -عليه السلام-: ﴿إني أخلق لكم من الطين كهيئة الطير فأنفخ فيه فيكون طائرا بإذن الله﴾[4].**

- **جاء في الحديث الشريف ((فأرسل ربك عز وجل السماء بهضب من عند العرش، فلعمر إلهك ما تدع على ظهرها من مصدع قتيل، ولا مدفن ميت، إلا شقت القبر عنه، حتى تخلقه من عند رأسه، فيستوي جالسا))[5].**

---

[1] الدر 344،6

[2] المرجع السابق والجزء 373

[3] الدر المنثور 379،4

[4] آل عمران 48

[5] رواه الطبراني وعبد الله وأحمد طريقي عبد الله إسنادها متصل ورجالها ثقات مجمع الزوائد 341،10

والخلاصة أن إسناد الخلق إلى الله إسناد مجازى باعتباره الآمر، وأن المقصود بالصورة في قوله ((على صورته)) هو الروح، ولايجوز أن يعاد الضمير على الله، نقل الحافظ البيهقي عن الامام أبي سليمان الخطابي أنه قال: إن الذي علينا وعلى كل مسلم أن يعلمه، أن ربنا ليس بذي صورة ولاهيئة، فإن الصورة تقتضي الكيفية، والكيفية منفية عن الله وعن صفاته[1].

وقال الإمام الشافعي: اعلموا أن الصور والتركيب تستحيل على الله تعالى للمعنى الذي ذكرنا في الجسم، ولأن ذا الصورة لا يختص بصورة دون صورة، إلا بمخصص هو فاعله وخالقه، ومن يكون له صورة أيضا مخلوق لا إشكال فيه، ولأن الصورة لاتشبه المصور، والله تعالى خالق كل شيء، وصورته ﴿ليس كمثله شيء﴾ وقال الله تعالى: ﴿هو الله الخالق البارئ المصور﴾[2].

ونقل البيهقى فى مناقب أحمد، عن رئيس الحنابلة أبى الفضل التميمى أنه قال: أنكر أحمد على من قال بالجسم، وقال: إن الأسماء مأخوذة من الشريعة واللغة، وأهل اللغة وضعوا هذا الاسم على ذى طول وعرض وسمك وتركيب وصورة وتأليف، والله خرج عن ذلك كله[3].

- وبنفس القاعدة السابقة في الاستعمال الشرعي تدرك:

أ. أن إسناد الفعل إلى الله في قوله تعالى: ﴿وكتبنا له في الألواح من كل شيء﴾[4] إسناد مجازى باعتباره الآمر بالكتابة، وأن المباشر للكتابة هو المسؤول عن خلق آدم -عليه السلام- قال عكرمة: إن الله لم يمس شيئا إلا ثلاثة: خلق آدم بيده، وغرس الجنة بيده، وكتب التوراة بيده))[5].

ب. أن المباشر للطي يوم القيامة ملك من الملائكة في قوله ﴿يوم نطوي السماء كطي السجل للكتاب﴾، وهذا الطي سيكون يوم القيامة، قال الله تعالى: ﴿والأرض

---

[1] الأسماء والصفات 296
[2] الفقه الأكبر ص10
[3] تكملة السيف 90
[4] الأعراف 145
[5] الدر المنثور 3،

جميعا قبضته يوم القيامة والسماوات مطويات بيمينه﴾ وقال عن السعداء ﴿لا يحزنهم الفزع الأكبر وتتلقاهم الملائكة هذا يومكم الذى كنتم توعدون يوم نطوى السماء كطي السجل للكتاب﴾ أي لا يحزنهم الفزع، وتتلقاهم الملائكة يوم الطي، والأحاديث التى تحدد زمن الطي بأنه فى آخر أيام الدنيا أحاديث ضعيفة.

وما قيل في هذه الآية يقال في الحديث الشريف ((يطوى الله السماوات يوم القيامة، ثم يأخذهن بيده اليمنى، ثم يقول: أنا الملك، أين الجبارون؟ أين المتكبرون؟))[1] فالطاوي هو الملك، والضمير في ((يأخذهن بيده اليمنى)) يعود على الطاوي، وقوله من باب التبليغ عن الله كما سبق بيانه آنفا.

ج. أن القائم بالحمل ملك من الملائكة أو روح من الأرواح العلوية، فيما أخرجه سعيد بن منصور وأحمد وعبد بن حميد والبخاري ومسلم والترمذي والنسائي وابن جرير وابن المنذر والدار قطني في الأسماء والصفات عن ابن مسعود -رضي الله عنه- قال: جاء حبر من الأحبار إلى رسول الله _صلى الله عليه وسلم- فقال: يا محمد، إنا نجد أن الله يحمل السماوات يوم القيامة على أصبع، والأرضين على أصبع، والشجر على أصبع، والماء والثرى على أصبع، وسائر الخلق على أصبع، فيقول: أنا الملك))[2] فضحك رسول الله -صلى الله عليه وسلم- حتى بدت نواجده تصديقا لقول الحبر، ثم قرأ رسول الله -صلى الله عليه وسلم- ﴿وما قدروا الله حق قدره والأرض جميعا قبضته﴾[3].

وجملة ((إن الله يحمل السماوات)) مشابهة للجمل التي تقدمت في بيان القاعدة:

﴿الله يتوفى الأنفس حين موتها﴾

﴿إن الله جامع المنافقين والكفار في نار جهنم﴾

﴿إن الله عز وجل ينشىء السحاب﴾

((يقول الرب عز وجل ارفع رأسك))

﴿سبحان الذي أسرى بعبده ليلاً﴾ ...

---

[1] مسلم

[2] تقدم بيان أن الملك يقول هذا معبراً عن الله.

[3] الدر المنثور 368.5

والتي تقدم التدليل على أن الإسناد فيها مجازى، وأن القائم بالفعل فيها والقول هم الملائكة الكرام.

ولهذا جاء في العقيدة الطحاوية التي تعبر عن أراء السلف للإمام الطحـــاوي : تعالى عن الحدود.والغايات والأركان والأعضاء والأدوات[1].

مما يدل على أن السلف -رضي الله عنهم- لم يفهمــوا مــن أمثـال الــنص المدروس أن لله أصبعاً أو أصابع.

قال الإمام الشافعي في كتابه الفقه الأكبر: الباري تعالى لـيس بـذي أجــزاء وأبعاض، بل هو واحد، كما قال الله تعالى: ﴿قل هو الله أحد﴾ والمجتمع المؤلف لا يكون واحدا[2].

قال الإمام عبد القاهر البغدادي: أجمع أهل السنة على إحالة وصفه بالصــورة والأعضاء[3].

د. أن نسبة الإحاطة إلى الله في قولــه تعــالى: ﴿والله محيط بالكافرين﴾ نسـبة مجازية، وأن القائم بها والموصوف بها حقيقة خلق من خلق الله وجنــد مــن جنوده، أخرج ابن أبي الدنيا في العقوبات وأبو الشيخ في العظمــة عــن ابــن عباس قال: خلق الله جبلا يقال له ((ق)) محيط بالعالم، وعروته إلى الصــخرة التي عليها الأرض، فإذا أراد الله أن يزلزل قرية أمر ذلك الجبل، فحرك العرق الذي على تلك القرية، فيزلزلها ويحركها، فمن ثم تحرك القرية دون القرية[4].

ه. أن نسبة الانتهاء إليه في قوله تعالى: ﴿إليه يصعد الكلم الطيب﴾ ﴿إني متوفيك ورافعك إلي﴾ ﴿بل رفعه الله إليه﴾ نسبة مجازية، وسيأتي تحقيــق وبيــان لهــذه النصوص في مبحث الاستواء.

---

[1] شرح العقيدة الطحاوية -الهرري- 163

[2] ص10 نقلتها عن كتاب ((هذه عقيدة السلف والخلف)) لابن خليفة عليوي وكتاب الإمام موجــود فــي المكتبة الظاهرية بدمشق تحت رقم ق-2(3)

[3] الفرق بين الفرق 320

[4] الدر المنثور 112,6

و. أن إسناد المجيء إليه في قوله تعالى: ﴿وجاء ربك والملك صفا صفا﴾ إسناد غير حقيقي، لأن عادة الاستعمال دلت على أن الآتي ملك جاء بأمر الله، بدلالة القرينة المنفصلة، قال ابن حزم: روينا عن الإمام أحمد في قوله تعالى: ﴿وجاء ربك﴾ إنما معناه وجاء أمر ربك، كقوله تعالى: ﴿هل ينظرون إلا أن تأتيهم الملائكة أو يأتي أمر ربك﴾ والقرآن يفسر بعضه بعضا[1]، قال ابن تيمية: ويجوز باتفاق المسلمين أن يفسر إحدى الآيتين بظاهر الأخرى، ويصرف الكلام عن ظاهره، إذ لا محذور في ذلك عند أحد من أهل السنة، وإن سمي تأويلا وصرفا من الظاهر، فذلك لدلالة القرآن عليه ولموافقة السنة والسلف عليه، لأنه تفسير للقرآن بالقرآن، ليس تفسيرا له بالرأي، والمحذور إنما هو صرف القرآن عن فحواه بغير دلالة من الله ورسوله[2].

فيكون تفسير الآية ﴿وجاء ربك﴾ تم بـ:

1- بالقرينة المنفصلة ﴿أو يأتي أمر ربك﴾.
2- بعادة الاستعمال الشرعي في أمثال هذه النصوص، التي يسند فيها ما تقوم به الملائكة لله سبحانه باعتباره الأمر.

ومجيء الملك من المكان الذي تلقى فيه الوحي والأمر الرباني.

ز. أن الظاهر الحرفي في أثر ابن مسعود الآتي، والمتعلق بيوم القيامة غير مقصود ((يتمثل الله عز وجل ذكره للخلق، فيلقاهم، فليس أحد من الخلق يعبد من دون الله شيئا إلا هو مرتفع له يتبعه، فيلقى اليهود، فيقول ما تعبدون. فيقولون عزير...ثم يلقى النصارى، فيقول ما تعبدون...))[3].

---

[1] تكملة السيف الصقيل 137-138

[2] مجموع الفتاوى 21,6

[3] مجمع الزوائد 332,10 واعتراض الحافظ الهيثمي على هذا الأثر بأنه مخالف للحديث الصحيح في ترتيب الشفعاء حيث جاء فيه ((أن أول شافع جبريل ثم إبراهيم. ثم نبيكم -صلى الله عليه وسلم- غير مسلم لـ:

- إمكانية تأويل العبارة بأول من يتشفع به الخلق ويلتجئون إليه ويطلبون منه الشفاعة: ويكون اسم الفاعل ((شافع)) بمعنى متشفع به، كقوله تعالى ((من ماء دافق)) أي مدفوق.

وفي حديث آخر عنه ((ويبقى محمد -صلى الله عليه وسلم- وأمته. فيتمثل الرب تبارك وتعالى فيأتيهم، فيقول: مالكم لا تنطلقون كانطلاق الناس، فيقولون إن لنا لإلها ما رأيناه، فيقول: هل تعرفونه إن رأيتموه، فيقولون: إن بيننا وبينه علامة، إذا رأيناها عرفناها. فيقول: ما هي؟ فيقول: يكشف عن ساقه، فيخر كل من كان نظره، ويبقى قوم ظهورهم كصياصي البقر، يريدون السجود فلا يستطيعون...))[1] ففي هذين الحديثين[2] أسند التمثل واللقاء والقول لله باعتباره الأمر، والقائم والمباشر لها ملك بدلالة القرائن:

- فقوله ((يلقى اليهود ويلقى النصارى)) قرينة لفظية تعبر عن أن الملاقى ملك، لأن الكفار يوم القيامة محجوبون ﴿كلا إنهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون﴾[3] ﴿يوم يرون الملائكة لا بشرى يومئذ للمجرمين﴾[4]. والقرآن قد كفر أهل الكتاب، الذين يقولون بألوهية المسيح ﴿لقد كفر الذين قالوا إن الله هو المسيح ابن مريم﴾
- وقوله ((ويبقى محمد -صلى الله عليه وسلم- وأمته، فيتمثل الرب تبارك وتعالى، فيأتيهم، فيقول مالكم لا تنطقون...)) دليل على أن القائل ملك، لأن هذه الجمل ليست أول ما يقوله الله للمؤمنين، فعن معاذ بن جبل قال: قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: ((إن شئتم أنبأتكم بأول ما يقول الله عز وجل

- أو تأويلها بأول شافع للخلق عند رسول الله _صلى الله عليه وسلم- ليشفع لهم عند ربه، ويؤيد هذا التأويل ما جاء في الحديث الشريف ((...إذ جاءني عيسى فقال هذه الأنبياء قد جاءتك يا محمد يشتكون. أو قال: يجتمعون إليك ويدعون الله عز وجل أن يفرق جمع الأمم إلى حيث يشاء الله... فيقول رسول الله -صلى الله عليه وسلم- لعيسى انتظر حتى أرجع إليك، فذهب نبي الله -صلى الله عليه وسلم- حتى قام عند العرش... رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح مسند الإمام أحمد -مع الفتح- 124,24

[1] رواه الطبراني من طرق ورجال أحدها رجال رجال الصحيح غير الدالاني وهو ثقة مجمع الزوائد 346-345,10

[2] الأثر الأول وإن كان موقوفا على ابن مسعود فإنه في حكم المرفوع، لأن مثل هذا لا يقال بالرأي

[3] المطففين 15

[4] الفرقان 22

للمؤمنين، وبأول ما يقولون له، قالوا نعم. قال: إن الله عز وجل يقول للمؤمنين: هل أحببتم لقائي؟ فيقولون: نعم[1].

- ومن القرائن المنفصلة التي تلقى ضوءا على حديث ابن مسعود وعلى الإسناد المجازى فيه حديثه ((ثم ينادي مناد: أيها الناس، ألم ترضوا من ربكم الذي خلقكم، ورزقكم، وأمركم أن تعبدوه ولا تشركوا به شيئا، أن يولى كل أناس ما كانوا يعبدون...فينطلق كل إلى ما كانوا يعبدون))[2] فأسند القول للمنادى، وهذه الأحاديث الثلاث جميعا رواها ابن مسعود، مما يدل على روايتها له بالمعنى، وعلى وضوح معنى المتشابه عنده.
- ومن القرائن الصارفة عن المعنى الظاهرى في الحديث قوله ((يكشف عن ساقه)) الذي يدل على أن المتكلم ملك؛ لأن عادة الاستعمال الشرعي في الأفعال التي تتعلق بتدبير الكون أن يسندها الله لنفسه باعتباره الآمر، بالرغم من أن القائم بها ملك ﴿فالمدبرات أمرا﴾، أخرج ابن المنذر عن ابن عباس، قال: قال النبي -صلى الله عليه وسلم- لجبريل ليلة الإسراء: ((اكشف عن النار. فكشف عنها، فنظر إليها))[3] فدل على أن من وظائف جبريل -عليه السلام- الكشف وإبراز الشدائد.

والساق - كما قال ابن عباس رضي الله عنهما- الكرب والشدة[4]، واقتران السجود به تطبيق لما اعتاده المسلمون في الدنيا من السجود، حين كانوا يرون العلامات المنذرة بنزول البلايا والمحن التي يخوف الله بها عباده ((إذا رأيتم آية فاسجدوا))[5] وتفسير الساق هنا بأنها ساق الله يكشفها يوم الدين لا يصح. أخرج عبد بن حميد، وابن المنذر، عن سعيد بن جبير أنه سئل عن قوله: ﴿يوم

---

[1] رواه الطبراني بسندين أحدهما حسن مجمع الزوائد 361,10

[2] المرجع السابق 343,10

[3] الدر المنثور 358-357,6

[4] الدر المنثور 282,6

[5] أبو داود مع العون 62,4 هذا التطبيق يوم الدين يحصل على حسب رواية قتادة بعد أن يؤذن لهم فيه الدر المنثور 283,6

يكشف عن ساق﴾ فغضب غضبا شديدا، وقال: إن أقواما يزعمون أن الله يكشف عن ساقه، وإنما يكشف عن الأمر الشديد[1].

- ومن القرائن اللفظية في الحديث قوله ((فيتمثل الرب)) الذي يدل على أن القائم به ملك بأمر الله، جاء في قصة جبريل مع مريم -عليهما السلام- ﴿فتمثل لها بشرا سويا﴾[2]

ح. وبعادة الاستعمال الشرعي في إسناد الأفعال التي تقوم بها الملائكة إلى الله باعتباره الآمر، ندرك أن الإسناد في الآية الآتية اسناد مجازى ﴿يدبر الأمر من السماء إلى الأرض﴾[3] وأن القائم بالتدبير الملائكة، قال الله تعالى: ﴿فالمدبرات امرا﴾[4].

اعتراض ابن حجر

نقل ابن حجر في فتح الباري عن بعض العلماء استبعادهم أن يكون الصوت للملائكة فى الحديث الشريف السابق الذى نقوم بدراسته ((يحشر الله العباد فيناديهم بصوت يسمعه من بعد كما يسمعه من قرب)) لسببين:

1. السبب الأول أن قول رسول الله -صلى الله عليه وسلم- عن الصوت: ((يسمعه من بعد كما يسمعه من قرب)) إشارة إلى أن المحدث للصوت ليس من المخلوقات، لأنه لم يعهد مثل هذا فيهم.
2. السبب الثاني أن الملائكة إذا سمعوا الصوت صعقوا، وإذا سمع بعضهم بعضا لم يصعقوا، وعليه فإن الصوت في الحديث صفة من صفات ذاته[5]...

ومضمون هذا الاعتراض أن الصوت الذي يحدث في الحشر، هو الذي يحدث إذا تكلم الله بالوحي، ومن آثار هذا الصوت كما جاء في الحديث صعق

---

[1] الدر 282،6
[2] مريم 16
[3] السجدة 4
[4] النازعات 5
[5] 234،17

الملائكة، يقول الرسول -صلى الله عليه وسلم- ((إذا قضى الله الأمر في السماء، ضربت الملائكة بأجنحتها خضعانا لقوله كأنه سلسلة على صفوان))، ولفظه عند ابن خزيمة وابن مردوية ((كمر السلسلة على الصفوان، فلا ينزل على أهل سماء إلا صعقوا))[1].

وهذا يدل على أن الصوت ليس صوت الملائكة،لأنه إذا سمع بعضهم بعضا لم يصعقوا، وإنما هو لله الواحد القهار.

الجواب عن السبب الأول

1. ليس شرط ما يحدث في الآخرة أن يكون حدث من قبل، وعهد مثله في القائمين به، فقد أخرج أبو داود والترمذي وحسنه، وابن جرير، وابن مردويه، والبيهقي في البعث عن أبي هريرة -رضي الله عنه- قال: قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: ((يحشر الناس يوم القيامة ثلاثة أصناف: صنف مشاة، وصنف ركبان، وصنف على وجوههم)).

   قيل: يا رسول الله، وكيف يمشون على وجوههم؟ قال: ((إن الذي أمشاهم على أقدامهم قادر على أن يمشيهم على وجوههم))[2].

   فالمشي على الوجوه لم يحدث للإنسان من قبل، ولم يعهد مثله، مع أنه سيكون وسيحدث، وكذلك أمر الصوت يحدث الله فيه ما يشاء ﴿يزيد في الخلق ما يشاء﴾[3] وفي حديث الميت الذي يوضع على النعش ((يصيح صيحة لو سمعها الثقلان لصعقوا)) مع أن صوته في الدنيا لا يؤذى ولا يميت.

2. أن الأحاديث التي سبق تحليلها يؤخذ منها أن الصوت للملائكة، فلا مجال للإعتراض، لا سيما وأن القائم بالمهمة يمكن أن يكون هذا أول عمل يكلف به.

---

[1] المرجع السابق والجزء 235-236

[2] الدر المنثور 224,4

[3] فاطر 1

الجواب عن السبب الثاني

نفي أن يكون صاحب الصوت في الحشر هو صاحب الصوت الذي يحدث حين يتكلم الله بالوحي السماء، ففي رواية أبى داود: ((سمع أهل السماء للسماء صلصلة كجر السلسلة على الصفا)).

وفي حديث النواس بن سمعان: ((إذا تكلم الله بالوحي أخذت السماوات منه رجفة)) أو قال: ((رعدة شديدة من خوف الله، فإذا سمع ذلك أهل السماوات صعقوا وخروا له سجدا))[1].

أي أن الملائكة تصعق لسماع الرجفة التي تحدث في السماء، كما يصعق البشر حين يسمعون نفخ الصور، أو لو سمعوا صيحة الميت على النعش.

وهذا يدل على أن الأصوات العنيفة تحدث الصعق في المخلوقات، سواء كان المصعوق من أهل السماء أو أهل الأرض.



[1] انظر فتح الباري 17، 233-234

فتاوى الأئمة فى الصوت والحرف

- قال الصحابى الجليل علي بن أبى طالب -رضي الله عنه-: إن الله كلم موسى -عليه السلام- بلا جوارح، ولا أدوات، ولا حروف، ولا شفة، ولا لهوات، سبحانه عن تكيف الصفات[1].
- قال الإمام أبوحنيفة -رضي الله عنه- فى كتابه الفقه الأكبر: الله تعالى يتكلم بلا آلة ولا حرف، والحروف مخلوقة، وكلام الله تعالى غير مخلوق[2].
- يقول الجنيد -من أئمة التصوف-: جلت ذاته عن الحدود، وجلّ كلامه عن الحروف، فلا حدّ لذاته، ولا حروف لكلامه[3].
والشيخ الجنيد إمام هدي كما قال ابن تيمية[4].
- قال الإمام الاسفراييني فى معرض ذكر عقيدة أهل السنة والجماعة: وأن تعلم أن كلام الله تعالى ليس بحرف ولا صوت، لأن الحرف والصوت يتضمنان جواز التقدم والتأخر، وذلك مستحيل على القديم سبحانه[5].
- قال العلامة المحدث على القارى فى شرح الفقه الأكبر: ومبتدعة الحنابلة قالوا: كلامه حروف وأصوات، تقوم بذاته، وهو قديم... وهذا قول باطل بالضرورة ومكابرة للحس للإحساس بتقدم الباء على السين فى بسم الله ونحوه[6].
- سئل سلطان العلماء العز بن عبدالسلام والإمام المجتهد أبو عمرو عثمان بن الحاجب المالكى[7]، والإمام علم الدين أبو الحسن علي بن محمد السخاوى عن

---

[1] الانصاف للباقلانى 90
[2] الفقه الأكبر ص 51
[3] الإنصاف 90
[4] مجموع الفتاوى 491،5
[5] التبصير فى الدين 102
[6] شرح للفقه الأكبر 29-30
[7] كلاهما بمن تتلمذ وأخذ عن شيخ الصوفية أبى الحسن الشاذلى -رضي الله عنهم-

كلام الله القديم القائم بذاته، هل يجوز أن يقال إنه عين صوت القارئ وحروفه المقطعة، وعين الأشكال التى يصورها الكاتب فى المصحف؟ وهل يجوز أن يقال: إن كلام الله القديم القائم بذاته حروف وأصوات على المعنى الظاهر فيها، وأنه عين ما جعله الله معجزة لرسوله -صلى الله عليه وسلم-؟ وما الذى يجب على من اعتقد جميع ذلك وأذاعه وغرّ به ضعفاء المسلمين؟ وهل يحل للعلماء المعتبرين إذا علموا أن ذلك قد شاع أن يسكتوا عن بيان الحق فى ذلك، وإظهاره والرد على من أظهر ذلك، واعتقده؟ أفتونا مأجورين.

جواب سلطان العلماء

القرآن كلام الله، صفة من صفاته، قديم بذاته، ليس بحروف ولا أصوات.

ومن زعم أن الوصف القديم هو عين أصوات القارئين وكتابة الكاتبين فقد ألحد فى الدين، وخالف إجماع المسلمين، بل إجماع العقلاء من غير أهل الدين.

ولا يحل للعلماء كتمان الحق، ولا ترك البدع سارية فى المسملين.

ويجب على ولاة الأمور إعانة العلماء المنزهين الموحدين، وقمع المبتدعة المشبهين المجسمين.

ومن زعم أن المعجزة[1] قديمة فقد جهل حقيقتها.

ولا يحل لولاة الأمر تمكين أمثال هؤلاء من إفساد عقائد المسلمين، ويجب عليهم أن يلزموهم بتصحيح عقائدهم بمباحثة العلماء المعتبرين، فإن لم يفعلوا ألجئوا إلى ذلك بالحبس والضرب والتعزير.

كتبه عبدالعزيز بن عبدالسلام

جواب الإمام ابن الحاجب

من زعم أن أصوات القارئ، وحروفه المتقطعة، والأشكال التى يصورها الكاتب فى المصحف هي نفس كلام الله تعالى القديم، فقد ارتكب بدعة عظيمة، وخالف الضرورة، وسقطت مكالمته فى المناظرة فيه.

[1] أي ألفاظ القرآن

ولا يستقيم أن يقال: إن كلام الله تعالى القديم القائم بذاته هو الذي جعله الله معجزة لرسوله -صلى الله عليه وسلم- فإن ذلك يعلم بأدنى نظر.

وإذا شاع ذلك، أو سئل عنه العلماء، وجب عليهم بيان الحق في ذلك وإظهاره.

ويجب على من له الأمر -وفقه الله- أخذ من يعتقد ذلك، ويغر به ضعفاء المسلمين، وزجره، وتأديبه، وحبسه عن مخالطة من يخاف منه إضلاله، إلى أن يظهر توبته عن اعتقاد مثل هذه الخرافات التي تأباها العقول السليمة.

والله أعلم

كتب عثمان بن أبي بكر الحاجب

ومعلوم أن كلا الإمامين العز وابن الحاجب ممن تتلمذ على يد شيخ الصوفية أبي الحسن الشاذلي.

جواب الإمام السخاوي:

كلام الله عز وجل قديم، صفة من صفاته، ليس بمخلوق، وأصوات القراء وحروف المصاحف أمر خاج عن ذلك...

والصفة القديمة القائمة بذاته سبحانه وتعالى ليست المعجزة [أي القرآن المتلو] لأن المعجزة ما تحدى به الرسول -صلى الله عليه وسلم- وطالب الاتيان بمثله، ومعلوم أنه لم يتحدهم بصفة الباري القديمة، ولا طالبهم بالإتيان بمثلها.

ومن اعتقد ذلك، وصرح به، أو دعا إليه، فهو ضال مبتدع، بل خارج عما عليه العقلاء إلى تخليط المجانين، والواجب على علماء المسلمين إذا ظهرت هذه البدعة إخمادها وتبيين الحق. والله أعلم

علي السخاوي[1]

- وسئل علماء مصر عن فتنة الحشوية المعروفة بفتنة ابن مرزق وابن الكيزاني في النصف الأخير من القرن السادس بمصر.

---

[1] تكملة السيف 46 -8

وصورة الاستفتاء:

ما قولكم في الحشوية على مذهب ابن مرزق وابن الكيزانى اللذين يعتقدان أن الله سبحانه يتكلم بحروف وصوت، تعالى الله عن ذلك، وأن أفعال العباد قديمة، هل تنفذ أحكامهم على أهل التوحيد وعامة المسلمين؟ وهل تقبل شهاداتهم على المسلمين أم لا؟

الإجابة

جواب الإمام شهاب الدين أبى الفتح محمد بن محمود الطوسى الشافعى:

تقبل شهادة عدو لهم على أصحابهم، ولا تسمع شهادتهم على أهل الحق من الموحدين، ولا ينفذ حكم قاضيهم على الموحدين، فإنهم أعداء الحق.

والله أعلم

كتبه محمد الطوسى

جواب الإمام يوسف الأرموى

ما نص عليهم أعلاه اقترفوا حوبة عظيمة، يجب عليهم القفول عما اعتقدوه...

كتبه يوسف الأرموى

جواب الإمام أبى منصور ظافر الحسين الأزدى المالكى

لا تقبل شهادة من يقول إن الله تعالى يتكلم بحرف وصوت، لأنهم مرتكبون كبيرة، هي أعظم من سائر المعاصى كالزنا وشرب الخمر، لأنها كبيرة تتعلق بأصل من أصول الدين.

كتب ظافر بن حسين الأزدى

وجواب شارح المهذب أبى إسحاق إبراهيم العراقى:

جوابى كذلك.

كتبه إبراهيم العراقى

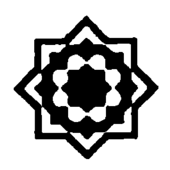
جواب الخطيب محمد بن إبراهيم الحموى:

من قال إن الله متكلم بحرف وصوت، فقد قال قولا يلزم منه أن الله جسم، ومن قال إنه جسم فقد قال بحدوثه، ومن قال بحدوثه فقد كفر، والكافر لا تصح ولا تقبل شهادته.

والله أعلم

كتبه محمد بن إبراهيم الحموى[1]

وهناك فتاوى أخرى كثيرة للأئمة الأجلاء يؤكدون فيه تنزه الله عن الحرف والصوت.



[1] هذه الاجابات وقعت لقمع فتن الحشوية فى النصف الأول من القرن السابع الهجرى، وهي مدونة فى "نجم المهتدى ورجم المعتدى" للفخر بن المعلم القرشي. تكملة السيف الصقيل 49-51

مبحث الاستواء

عقيدة ابن تيمية

- يؤمن ابن تيمية بأن الله جالس على العرش بذاته، جلوسا دائما لا يزول .
جاء في فتاويه: حدث العلماء المرضيون وأولياؤه المقربون أن محمدا رسول الله -صلى الله عليه وسلم- يجلسه ربه على العرش معه[1].
وقال في كتابه، "حديث النزول" : والقول الثالث وهو الصواب، وهو المأثور عن سلف الأمة وأئمتها؛ أنه لا يزال فوق العرش، ولا يخلو العرش منه، مع دنوه ونزوله إلى السماء الدنيا، ولا يكون العرش فوقه[2]... وأن استواءه على العرش بذاته[3].
والمقصود بالاستواء الجلوس والإستقرار[4]، وهذا المقصود هو الذي يفهمه العامه حين يسمعون لفظ الاستواء، قال يزيد بن هارون الوسطي: إن من قال الرحمن على العرش استوى خلاف ما تقرر في نفوس العامة فهو جهمي[5].
- ويصرح بأن هذه العقيدة قد تضافرت النصوص الدينية من القرآن الكريم والسنة النبوية على إثباتها:
- قال الله تعالى : ﴿إن ربكم الله الذي خلق السموات والأرض في ستة أيام ثم استوى على العرش يغشي الليل النهار يطلبه حثيثاً﴾[6].

---

[1] مجموع الفتاوي 374,4
[2] ص66
[3] مجموع الفتاوى 182,5
[4] كما قال تعالى ﴿لتستوا على ظهوره﴾
[5] مجموع الفتاوي 148،5
[6] الأعراف 53

- قال الله تعالى: ﴿تعرج الملائكة والروح إليه﴾[1].
- قال الله تعالى: ﴿إليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه﴾[2].
- قال الله تعالى : ﴿إني متوفيك ورافعك إلي﴾[3].
- قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم- ((فيعرج الذين باتوا فيكم إلى ربهم، فيسألهم -وهو أعلم بهم-))[4]
- قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: ((ينزل ربنا إلى السماء الدنيا في الثلث الأخير من الليل))[5].
- وأحاديث المعراج تؤكد هذه العقيدة وتدل عليها.

التقويم

للنصوص القرآنية المتعلقة بالاستواء .

ظاهر السياق في النصوص القرآنية المتعلقة بالاستواء يدل على عدم صلاحية تفسير الاستواء بالجلوس والاستقرار.

والسياق إحدى الوسائل التي تكون سببا في ظهور المعنى، يقول ابن تيمية في الفتيا الدمشقية: ظهور المعنى يكون بالوضع اللغوي أو العرفي أو الشرعي ... أو سياق الكلام الذي يعين أحد محتملات اللفظ، أو يبين أن المراد به هو مجازه[6] .

- ومعنى السياق أن تنظر إلى ما قبل الآية وإلى ما بعدها، أخرج عبد بن حميد، وابن جرير، وابن المنذر، وابن ابن حاتم، والبيهقي في الأسماء والصفات، عن

---

[1] المعارج 4
[2] فاطر 10
[3] آل عمران 54
[4] انظر مسند الإمام أحمد -الفتح- 19,20-20
[5] مسلم ، مجموع الفتاوى 61,5
[6] شرح نونية ابن القيم 131

ابن عباس في تفسير قوله تعالى: ﴿وسع كرسيه السموات والأرض﴾[1] قال: كرسيه علمه، ألا ترى إلى قوله: ﴿ولا يؤده حفظهما﴾[2]، فحدد معنى الكرسي، واستعان في تحديده بالجملة التي بعده.

وسئل علي بن المديني عن المعية في قوله تعالى: ﴿ما يكون من نجوى ثلاثة إلا هو رابعهم ولا خمسة إلا هو سادسهم ولا أدنى من ذلك ولا أكثر إلا هو معهم أين ما كانوا﴾[3].

فقال: اقرأ ما قبله ﴿ألم تر أن الله يعلم ما في السماوات وما في الأرض﴾[4] فحدد معنى المعية بأنها معية علم استعانة بالجملة التي قبلها .

تطبيق هذه القاعدة على النص الكريم

المثال الأول

قال الله تعالى: ﴿إن ربكم الله الذي خلق السموات والأرض في ستة أيام ثم استوى على العرش يغشى الليل النهار يطلبه حثيثا والشمس والقمر والنجوم مسخرات بأمره ألا له الخلق والأمر تبارك الله رب العالمين﴾[5]

هذا النص ورد بعد نص التكذيب ليوم القيامة ﴿فاليوم ننساهم كما نسوا لقاء يومهم هذا ... ﴾ يؤكد قدرة الله على البعث والإحياء وكمال علمه، ويذكر الدلائل الدالة على ذلك:

- فجملة ﴿خلق السموات والأرض﴾ التي وقعت قبل النص المدروس ﴿ثم استوى على العرش﴾ تدل على قدرة الله التي لا يعجزها شيء، وعلى كمال علمه وإبداعه.

---

[1] البقرة253

[2] الدر المنثور 337،1

[3] المجادلة 7

[4] مجموع الفتاوى 5 /140

[5] الأعراف 53

- وجملة ﴿يغشى الليل والنهار﴾ ﴿والشمس والقمر والنجوم مسخرات بأمره﴾ التي وقعت بعد النص المدروس تدل كل واحدة منهما على ما تدل عليه الآية الأولى.

وإذا كان الأمر كذلك وجب أن تكون دلالة جملة ﴿ثم استوى على العرش﴾ على ما تدل عليه باقي الجمل، وهو كمال القدرة والعلم، لأنها لو لم تدل عليه، وفسرت بالجلوس والاستقرار، لكانت كلاما أجنبيا واقعا في غير محله، مبتورا عما قبله وعما بعده، لعدم دلالته على القدرة، ولإيحائه بالعجز والإعياء.[1]

المثال الثاني

قال الله تعالى: ﴿سبح لله ما في السماوات والأرض وهو العزيز الحكيم له ملك السماوات والأرض يحي ويميت وهو على كل شيء قدير هو الأول والآخر والظاهر والباطن وهو بكل شيء عليم هو الذى خلق السماوات والأرض في ستة أيام ثم استوى على العرش يعلم ما يلج في الأرض وما يخرج منها﴾[2]

ظاهر السياق في هذه الآيات يدل على عدم صلاحية تفسير الاستواء بالجلوس والاستقرار، لأن كل جملة في النص جاءت في معرض البيان والتعليل لاتجاه الكون كله لله سبحانه وتعالى: تسبيحا، وتمجيدا، وتعبدا:

- فجملة ﴿وهو العزيز الحكيم﴾ التي تعبر عن أنه القوي الذى لا يغلب، صاحب العلم الذى لا يخطيء -سبب من أسباب اتجاه من في الكون لله، لأن العزيز الحكيم ملجأ للمستضعفين، وأمل للمقهورين.
- وجملة ﴿لله ملك السماوات والأرض يحي ويميت﴾ تؤذن بما تؤذن به الجملة الأولى، لأن الخضوع سببه الرجاء في فضله أو الخوف من عقابه، وملكه

---

[1] انظر تفسير الرازي 228،4

[2] الحديد 1-4

للخزائن والإحياء، يعبر عن الرجاء فيه، وانفراده بالاعدام والإماته يدل على الخوف منه.

- وجملة ﴿هو الذي خلق السماوات والأرض في ستة أيام﴾ تدل على ما تدل عليه الجملة الأولى والثانية من التعليل بانفراده تعالى بصفة الالهية وصفة الاتجاه إليه والخضوع[1].

ولو فسرنا الإستواء فى قوله ﴿ثم استوى على العرش﴾ بالجلوس والإستقرار لكان تفسيرا غير مناسب للسياق، لأن الجلوس لا يعتبر سببا من أسباب إفراد الله بصفة الخضوع، ولا هو من الدوافع التى تدفع من فى الكون إلى الاتجاه إلى الله، فالمسألة سيان بين أن يكون الإله جالسا أو غير جالس.

فظهر أن تفسير الاستواء بالجلوس لا يناسب السياق، والسياق -كما سبق- إحدى الوسائل التى تكون سببا فى ظهور المعنى.

وهذا ما دفع الأشاعرة بما فيهم العارفون من الصوفية المتقين إلى عدم الايمان بوجود مكان له سبحانه، لعدم ما يدل عليه. وإلى تأويل هذه الآية أو التسليم وعدم الخوض فيها.

وهم في تأويلهم مستندون لظاهر السياق، وإلى تفسيرات السلف الصالح:

- قال جابر بن زيد: سئل ابن عباس عن قوله تعالى: ﴿الرحمن على العرش استوى﴾؟

فقال: ارتفع ذكره وثناؤه على خلقه، لا على ما قال المنددون أن له أشباها وأندادا، تعالى الله عن ذلك.

- وعن مجاهد عن عبدالله بن عمر أنه سئل عن الصخرة التى كانت فى بيت المقدس، فقال له: إن ناسا يقولون، فذكر قولهم -سبحانه وتعالى عما يقولون علوا كبيرا- فارتعد ابن عمر: فرقا وشفقا حين وصفوه بالحدود والانتقال، فقال ابن عمر: إن الله أعظم وأجلّ أن يوصف بصفات المخلوقين، هذا كلام اليهود

---

[1] انظر تفسير التحرير والتنوير 362-356،27

أعداء الله، إنما يقول: ﴿الرحمن على العرش استوى﴾ أي استوى أمره وقدرته فوق بريته.

- وقال الحسن البصري: قوله ﴿ثم استوى على العرش﴾ يعني استوى أمره وقدرته ولطفه فوق خلقه، ولا يوصف الله بصفات الخلق، ولا يقع عليه الوصف كما يقع على الخلق.
- قال الربيع بن حبيب: بلغني عن ابن مسعود والضحاك بن مزاحم أنهما قالا: ﴿استوى على العرش﴾ استولى[1] عليه وعلى الأشياء كلها، فخضعت ودانت، وقد تقول العرب: استوت لفلان دنياه، أي أتته دنياه على ما يريد، واستوى بشر على العراق والحجاز، واستوى لنا الأمر، واستوى فلان على مال فلان، يريدون أنه احتوى عليه وحازه ونحو ذلك... وجوابنا في قوله تعالى: ﴿الرحمن على العرش استوى﴾ ما قاله عبدالله ابن عباس، وابن عمر، والحسن، ومجاهد أنه ارتفع ذكره وثناؤه ومجده وعظمته.

تعالى عما قال المنددون أن له أندادا وأشباها، تعالى الله عن ذلك.

ولأن ابن عمر في حديث الصخرة ارتعد فرقا وشفقا حين وصف الله بالزوال والانتقال، وقال: هذا كلام اليهود أعداء الله... قالوا: إنه لما فرغ من خلق السموات والأرض، استوى على العرش، ووضع إحدى فخديه على الأخرى، واستراح، فكذبهم الله بقوله ﴿وما مسنا من لغوب﴾ وبقوله ﴿ليس كمثله شيء﴾[2]

ويلاحظ في تفسيرات السلف لهذا النص ﴿ثم استوى على العرش﴾:-

1. أنها تدور حول كمال القدرة والعلم، فارتفاع الذكر سببه كمال القدرة والتصريف، واتساع العلم والإحاطة.
2. أن العرب تعرف الاستواء بمعنى الاستيلاء، وتسلم بأن الاستيلاء على الأشياء قد يحدث بدون مغالبة، فقولهم "استوى فلان على مال فلان" يدل عندهم على الاحتواء والحيازة، والاحتواء والحيازة قد يحدثان بلا منازعة، و يرى ابن

---

[1] سيأتي توجيه هذا المعنى

[2] مسند الجامع الصحيح للإمام الربيع بن حبيب بن عمر الأزدي البصري أحد النبغاء 36،3 و 39-40 نقلا عن كتاب ابن تيمية ليس سلفيا للشيخ منصور عويس.

تيمية أن معنى الاحتواء هو الاستيلاء، وأنه -أي الاحتواء- يجوز وصف الله به، يقول في فتاويه معلقا ومسلما بقول ابن أبي زيد القيرواني في رسالته "على العرش استوى وعلى الملك احتوى: "تفرق بين الاستواء والاستيلاء على قاعدة الأئمة المتبوعين[1].

يعني بقوله هذا، أن الفعل الأول "استوى" يدل على غير ما يدل عليه الفعل الثاني "احتوى" فالفعل الأول يدل عنده على الاستواء الظاهر على العرش -أي الجلوس عليه- والفعل الثاني يدل على الاستيلاء على الملك، فيصير معنى الجملة الثانية: استولى الله على الملك.

وتحليله هذا يؤدي به إلى مناقضة نفسه، لأنه قال قبل قوله هذا بثلاث وأربعين صفحة: لا يجوز استوى بمعنى استولى إلا في حق من كان عاجزا ثم ظهر، والله سبحانه لا يعجزه شيء، والعرش لا يغالبه في حال، فامتنع أن يكون بمعنى استولى[2].

وما منعه ابن تيمية لا يمتنع، لأنا عرفنا من قبل حين تتبعنا أسلوب التعبير القرآني، وعادته في الاستعمال أن أفعال التدبير في الكون -والاستواء منها- تقوم بها وتباشرها الملائكة والأرواح العلوية ﴿فالمدبرات أمرا﴾ والملك حين يتعامل مع الأشياء قد يواجه بالمقاومة وعدم الانقياد، وقصة سيدنا موسى -عليه السلام- مع ملك الموت حين لطمه على عينيه فأخسرها غير بعيدة عنا[3]. وقصة الأرض مع عزرائيل كذلك، حين كلف بتجميع التراب الذي سيخلق منه آدم، فاستعانت بالله، فأخذه قهرا عنها.

3. أن السلف الصالح يقصد بالعلو علو الصفة لا علو الذات، ولهذا فما ورد سابقا عن مجاهد أن الله علا بقدرته، يفسر ما ورد عنه مطلقا في البخاري في تفسير قوله تعالى: ﴿الرحمن على العرش استوى﴾ بأن معناه علا.

---

[1] مجموع الفتاوى 189,5

[2] المرجع السابق والجز 146

[3] مسند الامام أحمد -الفتح- 103,20

وتفسير العلو بعلو القدرة لا الذات الذى نقله الإمام الربيع هو الذى قال به ابن جرير الطبرى، الذى يسلم له ابن تيمية بكل ما فى تفسيره:

قال ابن جرير: فكذلك فقل: علا عليها علو ملك وسلطان لا علو انتقال وزوال[1].

وقال فى تفسير قوله تعالى: ﴿وهو العلي العظيم﴾: يعنى والله العلي، والعلي الفعيل، من قولك علا يعلو علوا، إذا ارتفع، فهو عالٍ، وعليّ، والعلي ذو العلو والارتفاع على خلقه بقدرته[2].

وتفسير العلو بالعلو المعنوى لا الحسى هو الذى يليق بجلال الله لـ:

أ. أنه لا شأن ولا شرف فى علو المكان، إنما الشأن فى علو القدر، فكم من خادم وحارس يكون جالسا على السطح لتأدية بعض مأموراته، وسيده جالس تحته فى الأسفل على عرشه، ﴿وله المثل الأعلى فى السماوات والأرض﴾ والأعلى هنا هو العلو المعنوى.

ب. أن العلو المعنوى -كمال القدرة- يدل على الانفراد والتنزه عن الأنداد، بخلاف العلو الحسى، فتشاركه فيه بعض المخلوقات، وهو اللوح المحفوظ على ما جاء فى الحديث الشريف ((لما قضى الله الخلق كتب كتابا عنده، غلبت أو قال: سبقت رحمتى غضبى، فهو عنده فوق العرش))[3].

وهذا الحديث يدل -كما قال ابن حجر- على أن اللوح المحفوظ فوق العرش[4].

ولا يصح تأويل كلمة "فوق" الواردة فى الحديث بأن المقصود بها "دون" لما جاء فى رواية ابن حبان "وهو مرفوع فوق العرش" التى صرحت بالرفع، وكذلك رواية النسائى. "فهو عنده على العرش"[5].

---

[1] تفسير ابن جرير 192,1

[2] المرجع السابق 9,3

[3] البخارى -الفتح- 310,17

[4] فتح البارى 310,17

[5] العقيدة السنية للمحدث الهررى 202

ج. أن العلو المعنوى يدل على اتصاف الله بصفة العلو أزلا، بخلاف العلو الحسى -علو ذاته على العرش- فيعبر عن أنه لم يكن موصوفا بهذا الوصف قبل أن يخلق العرش، لعدم وجود مكان فى الأزل، قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: ((كان الله ولم يكن شيء غيره))[1]

وقد أجمع السلف على أن صفات الله قديمة غير محدثة

وبناء على ما سبق نستطيع أن نقول إن لفظ العلو لا يقتضى علو الذات على العرش، يقول ابن تيمية: فإن كان لفظ العلو لا يقتضى علو ذاته فوق العرش، لم يلزم أن يكون على العرش، وحينئذ فلفظ النزول ونحوه يتأول قطعا، إذ ليس هناك شيء يتصور منه النزول[2].

مقارنة بين تحليل ابن تيمية للنص[3] وتحليل الأشاعرة

1. تفسير الأشاعرة الذي يراعي السياق، يتناسب مع الحصر القرآني للمتشابه[4] ﴿وما يعلم تأويله إلا الله والراسخون في العلم﴾[5]
لاحتياجه إلى النظرة الكلية للنص، وتوقفه على فهم العلاقات بين الجمل .
بينما تفسير ابن تيمية يخالف هذا الحصر، لتمكن العامة من تأويله، بسبب عدم احتياج التأويل فيه إلا إلى النظر الجزئي والمعنى الحرفي لكلمة استوى، الذي يحدده أي قاموس مدرسي .
2. تفسير ابن تيمية فيه تفريق للجمل، وتضييع للوحدة الكلية للنص، لاقتصاره في التحليل على دراسة جملة واحدة منه ((ثم استوى على العرش)) والإعراض عما سواها.

---

[1] الحديث فى البخارى وقد تقدم ذكره، وذكر الرد على ابن تيمية فى تأويله، فراجعه فى مبحث الصوت.
[2] مجموع الفتاوي 579.5
[3] أي نص آية الاستواء
[4] قال الإمام الشافعي : هذه الآية [ثم استوى على العرش] من المتشابه . الفقه الأكبر ص17
[5] آل عمران 7

بينما تفسير الأشاعرة يستوجب الالتفات عند التحليل إلى أول الكلام وآخره، وما اقتضاه الحال، لا ينظر الباحث في أوله دون آخره، ولا في آخره دون أوله، حتى يتبين له المراد، يقول ابن تيمية: التأويل المقبول هو ما دل على مراد المتكلم[1].

3. تحليل ابن تيمية ينبهنا إلى القصور فى المنهج الذى اتبعه هو وأشياخه الأقدمون، الذين جمعوا هذه النصوص مبتورة من سياقها فى كتب وفتاوى للإيحاء بأن المقصود بها الحقيقة والظاهر.

يقول الإمام الغزالى -من الأشاعرة- فى كتابه "إلجام العوام عن علم الكلام" عن النص المتشابه: لا يفرق بين مجتمعه، فإن كل كلمة سابقة على كلمة أو لاحقة لها مؤثرة فى تفهيم معناه مطلقا[2].

4. عمق التحليل عند الأشاعرة يدلنا على صحة تفسيرهم لمصطلح التأويل بأنه صرف للفظ عن ظاهره الحرفى المعروف عند الناس، بينما النتيجة غير الصحيحة لتحليل ابن تيمية للنص المدروس، تدلنا على عدم صحة تفسيره لهذا المصطلح بأنه الأخذ بالظاهر الحرفي الذى يفهمه العامة من اللفظ.

5. تفسير الأشاعرة الناتج عن النظرة الكلية والتدبر فى النص، يفتح الباب لاتجاهين فى تحليل نص ﴿ثم استوى على العرش﴾:

أ. الاتجاه الأول يقتصر على الفهم العام للجملة، وهي أنها تدل على كمال القدرة والعلم بدون تحديد بدلالة خاصة للجملة. أي بدون تأويلها بأنها تدل على صفة الملك، أو أنها تعبر عن الاستيلاء أو غيره.

وهذا الاقتصار يدخل فى دائرة التفويض -أي تفويض المعنى الخاص المقصود من الجملة إلى الله-

والتفويض الذى لا يحدد معنى الجملة الخاص، ويقتصر على الفهم العام لا يعارض التدبير[3]، بل هو ناتج من نتائجه، لأنه مأخوذ من دراسة السياق،

---

[1] درء التعارض 201،1

[2] ص76

[3] أي عند قراءة النص الديني ﴿أفلا يتدبرون القرآن﴾

والتأمل فيه، مقرونا بخشية الله من الالحاد فى أسمائه وصفاته، بأن يدخل فيها ما ليس منها، أو يضيف إليها ما هو خارج عنها "لأن ما يتعلق بالله وصفاته شيء وراء العقل، لا يمكن أن يصل إليه الإنسان إلا بأن يقيس الله على نفسه، وذلك خطأ كبير"[1] ومخالفة صريحة لقوله تعالى: ﴿ليس كمثله شيء﴾

ب. تحديد المعنى الخاص لجملة "استوى على العرش"

استعانة بالجمل التي بعد النص في آية الأعراف ﴿يغشي الليل النهار يطلبه حثيثاً والشمس والقمر والنجوم مسخرات بأمره﴾ التي تتحدث عن الأمر الإلهي للكون والقهر له، والأمر والقهر من لوازم الملك، فيكون المقصود بجملة ﴿ثم استوى على العرش﴾ صفة الملك على سبيل الاستعارة التمثيلية والمجاز المركب[2].

قال الشاعر:

فلما علونا واستوينا عليهم تركناهم صرعى لنسر وكاسر[3]

وسواء قلنا بالاتجاه الأول أو الثاني، فالمعنى العام المفهوم من الجملة معلوم عند الجميع، وهو الصرف عن الظاهر الحرفي للفظ ((استوى)) والتعبير به عن كمال القدرة.

ولهذا لما سئل الإمام مالك عن قوله تعالى: ﴿الرحمن على العرش استوى﴾ كيف استوى؟ قال: الاستواء غير مجهول[4].

أي معنى الاستواء في الآية معلوم عند أهل اللسان الفاهمين لأسرار العربية.

وابن تيمية يفسر قول الإمام بأن المقصود منه الجلوس، لأنه المعنى المعلوم عند العامة.

---

[1] ضحى الإسلام 15,3

[2] المجاز المركب الألفاظ فيه باقية على معانيها اللغوية، والتجوز حاصل في معنى الهيئة التركيبية لا في مفرداتها، كقولك للمتردد: " أراك تقدم رجلا وتؤخر أخرى " وإن لم يحدث منه التقديم والتأخير للرجل. وجاء في المصباح المنير: واستوى على سرير الملك " كناية عن التملك وإن لم يجلس. مادة سوى

[3] البحر المحيط، 291

[4] دقائق الإشارات إلى معاني الأسماء والصفات للأنصاري 311

وتفسيره ينزل بالإمام إلى مستوى العامة الذين لا يدركون دلالات السياق .
ويمكن أن يكون المقصود بقول الإمام " والاستواء معلوم" أي معلوم معناه عند السلف، والسلف-كما سبق- يفسرونه بما يدل على كمال القدرة والعلم والرفعة والثناء، لا على الجلوس والاستقرار الذي قد يوحي بالعجز والإعياء .
وتمام جواب الإمام مالك " والكيف غير معقول " أي كيف صفة الملك أو القهر أو غيرها غير معقول، لأن الكلام في الصفات فرع الكلام في الذات، والذات الإلهية لا كيف لها. ولهذا جاء في بعض الرويات عن الإمام، "ولا يقال كيف، وكيف عنه مرفوع"[1]، قال سيدنا علي بن أبي طالب-رضي الله عنــه- حين سأله اليهود عن كيفية الله :... بل هو بلا كيف[2] .
فالذات والصفة الإلهية ليس لها كيف أصلاً، خلاف ما يقول ابن تيمية مــن أن الإستواء صفة الذات، وكيفيته مجهولة، تعالى الله عما يقول:
قال الصحابي الجليل- علي بن أبي طالب- رضي الله عنه-: سبحانه وتعــالى عن تكييف الصفات[3].
قال الحافظ ابن الجوزي -رضي الله عنه- في كتابــه دفــع شــبه التشــبيه ص41-55: وأما ما نسب إلى الثوري، ومالك، وابن عيينة، والحماد، وأحمد، وإسحاق، وغيرهم من أنهم متفقون على أن الله فوق العرش بذاته، فهو علــى فرض ثبوته عنهم، لا يستلزم أن لله مكاناً، تعالى الله عن ذلك، فإن معناه أنــه تعالى عالي الرتبة والمكانة، مستحق ذلك بذاته لا بغيره؛ من كثــرة الأمــوال والجنود كفوقية المخلوقات، وما قاله الحافظ متوافق مع تأويلات ابــن عبــاس ومجاهد والحسن وغيرهم التي سبق ذكرها.

6. تأويل ابن تيمية بأن الله لا يزال على العرش، ولا يخلو منه العرش، يتعارض مع منهجه في التأويل الذي يدعو إلى الأخذ بالظاهر، جاء في الحديث الشريف

---

[1] المرجع السابق والصفحة
[2] حلية الأولياء 72,1
[3] المرجع السابق

الذي يتحدث عن آخر أيام الدنيا بعد موت الملائكة : "وأصبح ربك عز وجل يطيف في الأرض، وخلت عليه البلاد"[1] الذي يدل على حسب منهج ابن تيمية على وجود الله في الأرض وعلى خلو العرش منه. فهو بين خيارين : إما أن يضل على عقيدته بأنه لا يخلو منه العرش فيتعارض مع الحديث الشريف، أو يؤوله فيتعارض مع منهجه .

7. تفسير ابن تيمية للاستواء بالاستقرار والجلوس يخالف به معتقدات السلف الصالح النين يؤمنون بأنه ليس على مكان:

- قال علي بن أبي طالب- رضي الله عنه-: كان الله ولا مكان، وهو الآن على ما عليه كان .
- قال جعفر الصادق : من زعم أن الله في شيء، أو من شيء، أو على شيء، فقد أشرك، إذ لو كان على شيء لكان محمولاً، ولو كان في شيء لكان محصوراً، ولو كان من شيء لكان محدثاً[2] .
- قال الإمام أبو حنيفة: نقر بأن الله تعالى على العرش استوى، من غير أن يكون له حاجة واستقرار عليه[3].
- قال الإمام الشافعي في كتابه الفقه الأكبر: اعلمو أن الباري لا مكان له، والدليل عليه، هو أن الله تعالى كان ولا مكان، فخلق المكان، وهو على صفته الأزلية كما كان قبل خلق المكان، لا يجوز عليه التغيير في ذاته والتبديل في صفاته، ولأن ماله مكان، وله تحت، متناهي الذات محدود، والمحدود مخلوق، تعالى الله عن ذلك[4].
- قال الإمام الحافظ ابن العربي: والذي يجب أن يعتقد في ذلك أن الله كان ولا شيء معه، ثم خلق المخلوقات من العرش إلى الفرش، فلم يتعين بها، ولا حدث

---

[1] رواه عبد الله والطبراني بنحوه، وأحد طريقي عبد الله إسناداً متصل ورجالها ثقات مجمع الزوائد 343-341,1

[2] الرسالة القشيرية 6

[3] هذه عقيدة السلف 22-23

[4] ص17

له جهة منها، ولا كان له مكان فيها، فإنه لا يحول ولا يزول، وقدوس لا يتغير ولا يستحيل[1].

- قال الإمام أبو منصور، المحدث الفقيه الذي وصفه ابن حجر بأنه الإمام الكبير، إمام أصحابنا الشافعية: وأجمع أصحابنا على احالة القول بأنه في مكان، او في كل مكان[2] .
- قال الإمام القرطبي -من آئمة المالكية- في كتابه التذكار ص208: ورد الإمام مالك بن أنس -رضي الله عنه- على القائلين بالجهة مبسوط في العواصم عن القواصم لابن العربي .
- وجاء في كتاب المنهاج القويم شرح ابن حجر الهيثمي على المقدمة الحضرمية ص224 : واعلم أن القرافي وغيره حكوا عن الشافعي ومالك وأحمد وأبي حنيفة- رضي الله عنهم - القول بكفر القائلين بالجهة .

وقد ذكر المحدث المشهور ملا على القاري أن السلف والخلف اتفقوا على أن من اعتقد ان الله في جهة فهو كافر، كما صرح به العراقي وبه قال أبو حنيفة ومالك والشافعي وأبو الحسن الأشعري والباقلاني[3] .

- قال الإمام القرطبي في تفسيره: ووصفه بالعلو والعظمة، لا بالأماكن والجهات والحدود، لأنها صفات الأجسام، وإنما ترفع الأيدي بالدعاء إلى السماء، لأن السماء مهبط الوحي، ومنزل القطر، محل القدس[4]... كما جعل الله الكعبة قبلة للدعاء والصلاة، ولأنه خلق الأمكنة وهو غير محتاج إليها، وكان في أزله قبل خلق المكان والزمان، ولا مكان له ولا زمان، وهو الآن على ما عليه كان[5] وكلامه -رضي الله عنه- هنا صريح في نفي الجهة والمكان عن الله، وفي تأويل الفوقية والعلو بأنه علو العظمة وكمال القدرة، ولهذا فما ورد عنه في

---

[1] العارضة 232،2

[2] العقيدة الطحاوية- الهرري-171

[3] نقلا عن كتاب الوهابية في العراء ص9

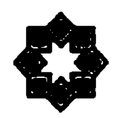
[4] شرح المشكاة 300،3

[5] الجامع لأحكام القرآن 216،18

تفسير سورة الأعراف بأن الله نطق في كتابه بإثبات الجهة فسبق قلم، لأنه لم يرد لفظ الجهة في كتاب الله، ولا ثبت في عبارات السلف .

وما ثبت عنه وعنهم هو إثبات لفظ الفوقية، والفوقية عنده وعندهم فوقية معنوية كما سبق .

قال العلامة المحدث الكوثري : لم يقع ذكر الجهة في حق الله سبحانه في كتاب الله، ولا في سنة رسوله-صلى الله عليه وسلم- ولا في لفظ صحابي أو تابعي ولا في كلام أحد ممن تكلم في ذات الله وصفاته من الفرق سوى أقحاح المجسمة، وأتحدى من يدعي خلاف ذلك، أن يسند هذا اللفظ إلى أحد منهم بسند صحيح، فلن يجد إلى ذلك سبيلاً، فضلاً عن أن يتمكن من إسناده إلى الجمهور بأسانيد صحيحة[1].



[1] تكملة السيف الصقيل 115-116

الدليل الثانى

من الأدلة التى استدل بها ابن تيمية على أن الله على العرش قوله تعالى: ﴿أأمنتم من فى السماء أن يخسف بكم الأرض فإذا هي تمور أم أمنتم من فى السماء أن يرسل عليكم حاصبا فستعلمون كيف نذير﴾[1]

التقويم

1) هذا النص مساو للحديث الشريف ((ارحموا من فى الأرض يرحمكم من فى السماء))[2] فى التعبير والدلالة على المتحدث عنه.

ففى التعبير عبر كل منهما بلفظ "فى" التى تدل على الظرفية.

وفى الدلالة دل كل منهما على المتحدث عنه بواسطة "من" الموصولة الموضوعة للعاقل. وعلى مكان وجوده وهو السماء فعبارة "من فى السماء" فى الأية والحديث متحدة فى التعبير والمضمون.

وقد جاء بيان الشخص المتحدث عنه، المعبر عنه "بمن" فى حديث ((يرحمكم من فى السماء)) فيما رواه أحمد أن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- قال: ((الراحمون يرحمهم الرحيم، ارحموا أهل الأرض، يرحمكم أهل السماء))[3] أي الملائكة بالدعاء والاستغفار والشفاعة والنجدة والإنقاذ.

ولما كان التعبير فى الأية والحديث متحدا -كما سبق بيانه- كان هذا دليلا على أن المقصود "بمن فى السماء" فى الآية الكريمة هم الملائكة أو الأرواح العلوية، يخوف الله بهما عباده العاصين:

أخرج ابن أبى شيبة وعبد بن حميد وابن المنذر وأبو الشيخ فى العظمة عن ابن سابط -رضي الله عنه-: وكل جبريل -عليه السلام- بالهلاك، إذا أراد أن يهلك قوما كان صاحب ذلك، ووكل أيضا بالنصر فى الحروب، إذا أراد الله أن ينصر[4].

---

[1] الملك 16-17

[2] حديث صحيح الجامع الصغير -المناوى- 141,1

[3] مسند الإمام أحمد 160,2

[4] الدر المنثور 15,6

- وأخرج أبو الشيخ في العظمة عن الضحاك قال: الروح... أعظم الملائكة، لو فتح فاه لوسع جميع الملائكة، والخلق إليه ينظرون، فمن مخافته لا يرفعون طرفهم إلى من فوقهم[1]، قال الله تعالى: ﴿يخافون ربهم من فوقهم﴾ أي يخافون جنده وعبده الذي هو فوقهم، وأسند الله لنفسه الخوف باعتباره الخالق والمعد والمكلف له.

- وأخرج عبد الرزاق وعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر عن قتادة في قوله ﴿فطمسنا أعينهم﴾[2] قال: ذكر لنا أن جبريل استأذن ربه في عقوبتهم ليلة أتوا لوطا، وأنهم عاجلوا الباب ليدخلوا عليهم، فصعقهم بجناحه، فتركهم عميانا يترددون.[3]

- وأخرج عبدالرزاق وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم عن حذيفة بن اليمان في قصة هلاك لوط "فاستأذن جبريل -عليه السلام- في هلاكهم، فأذن له، فاحتمل الأرض التي كانوا عليها، وأهوى بها ... ثم قلبها بهم"[4]

ومسكن جبريل والروح في السماء.

2) علمنا من قبل حين تتبعنا أسلوب التعبير القرآني، أن مباشرة الأفعال في تدبير هذا الكون قولا وعطاء وأخذا وعذابا وانتقاما موكولة إلى الملائكة الكرام ﴿فالمدبرات أمرا﴾[5] والخسف والارسال منها، وظاهر الآية يتكلم عن المباشرة للفعل "يخسف يرسل" وهو ما تدل عليه قاعدة ابن تيمية في تأويل النصوص التي تقول: إن الأفعال التي جاءت بصيغة الجمع تدل على الله باعتباره الآمر، وتدل على الملائكة باعتبارها المباشر للفعل[6] ﴿وأمطرنا عليهم حجارة من سجيل﴾[7]

وقد أثبتنا من قبل أن هذه القاعدة لا تختص بصيغ الجمع.

---

[1] الدر المنثور 344،6

[2] القمر

[3] الدر المنثور في التفسير بالمأثور 151،6

[4] الدر المنثور 373،3

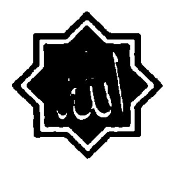
[5] النازعات 5

[6] تقدمت

[7] الحجر 74

3) مما يدل على أن المقصود بمن فى السماء فى الآية الأولى[1] هم الملائكة، أن الآية الثانية[2] المقارنة لها والمساوية لها فى التعبير ﴿من فى السماء﴾ تتحدث عن الملائكة، فهم المكلفون بمهمة إرسال الحاصب والحجارة، قال تعالى فى قصة إبراهيم -عليه السلام- مع الملائكة: ﴿قال فما خطبكم أيها المرسلون قالوا إنا أرسلنا إلى قوم مجرمين لنرسل عليهم حجارة من طين﴾[3]

وخلاصة القول أن القرائن المنفصلة فى الآية واللفظية فيها، وعادة الاستعمال يدلان على أن المقصود بمن في السماء هم الملائكة.



---

[1] أي قوله ﴿أأمنتم من في السماء أن يخسف بكم الأرض فإذا هي تمور﴾

[2] أي قوله ﴿أم أمنتم من في السماء أن يرسل عليكم حاصبا﴾

[3] الذاريات 31-33

الدليل الثالث

قوله صلى الله عليه وسلم: ((ينزل ربنا إلى السماء الدنيا في الثلث الأخير من الليل)).

يدل هذا الحديث الشريف عند ابن تيمية على أن الله فوق عرشه، ينزل في آخر الليل، يخاطب عباده المؤمنين، لأنه إذا لم يكن فوق عرشه الأعلى، فمن أين يكون النزول .

التقويم

1. تقدم في مبحث الاستواء أن لفظ العلو في النصوص الدينية، لا يقتضي علو الذات الإلهية على العرش، وإذا لم يكن يقتضيه -كما قال ابن تيمية- لم يلزم أن يكون على العرش، وحينئذ فلفظ النزول ونحوه يتأول قطعاً، إذ ليس هناك شئ يتصور منه النزول[1] .
2. اعتمد ابن تيمية في تحليله للحديث على مجرد الإسناد في الجملة ((ينزل ربنا)) بدون بحث في عادة الإستعمال الشرعي في التعبير في أمثال هذه النصوص، التي تدل على أن المباشر للفعل هم الملائكة، وأسند الله الفعل لنفسه باعتباره الآمر. وقد تقدم بيان العادة، والكلام على هذا الحديث عندها، فراجعه إن شئت .
3. لو أخذنا بتحليل ابن تيمية للحديث لخاطبنا العقل بما لا يسلمه، لأن إحدى السماوات قال عنها رسول الله -صلى الله عليه وسلم- : ((إن السماء أطت وحق لها أن تئط، ما فيها موضع أربع أصابع، إلا وملك واضع جبهته ساجدا لله))[2]

وهذه السماء إما أن تكون السماء الدنيا أو غيرها، فإن كانت السماء الدنيا، فأين سينزل الله، هل يكون داخل السماء، والسماء مليئة بسكانها، أم يكون خارجا عنها، والحديث يقول إنه ينزل إليها؛ وإن كانت غيرها، فمن أين سينزل الله إليها؟ اللهم

---

[1] مجموع الفتاوي 579،5

[2] أخرجه الترمذي وحسنه وابن ماجه وابن مردويه الدر المنثور 318،5

إلا أن يحشر نفسه ويجمع ذاته في معراج الأعمال، ومصعد الأقوال، والملائكة الكرام !!

وعلى فرض تفريغها من الملائكة وقت النزول- وهو ما لا دليل عليه- فكيف تحمل السماء الرب، وابن تيمية يؤمن بأن حجم السماوات السبع والأرضين السبع كخردلة في يد الرحمن[1]، فهي لا تكفي لملء يده، فكيف تسع ذاته؟

4. تحليل ابن تيمية يؤدي إلى خلو السماوات السبع من الملائكة والجنة والنار، لأن عقيدته أن الله ينزل إلى السماء الدنيا، ولا يخلوا منه العرش، وذاته متصلة لا حد لأعلاها[2].

فيكون مكانه في الشطر الأخير من الليل متسعا من السماء الدنيا إلى العرش الأعلى، وسينمحي كل ما في السماوات حتى الجنة والنار، لامتلاء المكان بالذات الإلهية، وسيدوم هذا الإنمحاء بدوام هذا النزول، مع كل ليل، والليل لا ينقطع عن الكرة الأرضية.

5. لو أخذنا بتحليل ابن تيمية لتناقضنا مع ظاهر الحديث الشريف، فالظاهر عنده على أن الله مستقر على عرشه طيلة النهار، لا ينزل منه إلا في الشطر الأخير، و تحليله يستلزم أن يكون الله في نزول دائم بدوام الليل في الكرة الأرضية، وعليه فلا يوجد له استقرار على العرش.

الدليل الرابع

عن عمر بن الحكم أنه قال : أتيت رسول الله - صلى الله عليه وسلم- فقلت: يا رسول الله، إن جارية لي كانت ترعى غنما لي، فجئتها وقد فقدت شاة من الغنم، فسألتها عنها، فقالت: أكلها الذئب، فأسفت عليها، وكنت من بني آدم، فلطمت وجهها، وعلي رقبة، أفأعتقها ؟

---

[1] مجموع الفتاوي 439,16

[2] وقد صرح بها أيضا إمام ابن تيمية أبو يعلى الحنبلي في كتابه "إبطال التأويلات" تكملة السيف 116

فقال لها رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: ((أين الله؟))
فقالت: في السماء
فقال: ((من أنا ؟)) فقالت: أنت رسول الله.
فقال رسول الله -صلى الله عليه وسلم- ((أعتقها))[1]
فهذا الحديث عند ابن تيمية يدل صراحة على مكان الله، ويحدده بأنه في السماء.

التقويم

هذا الحديث ورد في باب " الرقبة المؤمنة التى يجوز عتقها" يوضح طريقة الكشف عن الإيمان، بالاستفسار عن أمور إذا ما وجدت فى الإنسان، عُـدّ مـن زمـرة المؤمنين وطائفة المصدقين.

والقارئ لهذا الحديث ولأحاديث أخرى مشابهة لهذا الحديث، كالحديث الـذى ورد عن رجل من صار أنه جاء بأمة سوداء، فقال: يا رسول الله، إن علـيّ رقبـة مؤمنة، فإن كنت ترى هذه مؤمنة فأعتقها؟ فقال لها رسول الله صـلى الله عليـه وسلم: ((أتشهدين أن لا إله إلا الله؟)) قالت: نعم. قال: ((أتشـهدين أنـى رسـول الله؟)) قالت: نعم. قال: ((أتؤمنين بالبعث بعد الموت؟ قالت: نعم. قال: ((أعتقها))[2]

يلاحظ:

1. أن حديث الباب عبارته ((أين الله)) لا علاقة لها بالتوحيـد والإيمـان، لأن الإقرار بوجود الله فى السماء لا يدل لا على إسلام ولا على إيمان، فأهـل الجاهلية كانوا يقرون بوجود الله فى السماء ومع هذا كانوا يتخـذون معـه آلهة أخرى.
2. أن الحديث الثانى ينسجم مع القاعدة الصريحة فى التشـريعة ((أمـرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله))

[1] الموطأ - القبس- 965,3
[2] رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح مجمع الزوائد 247,4

فالشهادة تخرج الإنسان من دائرة الكفر إلى دائرة الإيمان، لأنها تدل على أنه لا معبود بحق إلا الله، لأنه المستغنى عن كل ما سواه، المفتقر إليه كل ما عداه، فهي تثبت لله الألوهية، وتثبت انفراده بها، وتنسب لغيره العبودية، وتجرده من كل خصائص الربوبية.

وأما التعبير بأن الله فى السماء فلا يدل على الإسلام؛ لأن أهل الجاهلية -كما سبق- كانوا يقرون بوجود الله في السماء، ويتخذون معه آلهة أخرى.

ونحن هنا بين خيارين:

1. إما أن نقول إن اللفظ النبوي الذي عبر به رسول الله -صلى الله عليه وسلم- واستفهم عن الإيمان به في الحديث الأول، هو ((أتشهدين أن لا إله إلا الله)) لأن الشهادة تكشف عن التوحيد وتدل عليه، فيكون الحديث منسجما مع عنوان الباب الذي ورد فيه الحديث، ومتوافقا مع السياق اللاحق والسؤال السابق -السؤال هدفه التأكد من إيمان الجارية- أي هل هي مؤمنة فأعتقها، أم هي غير مؤمنة فأبحث عن غيرها[1].
2. أو نقول إن اللفظ النبوي الذي نطق به رسول الله -صلى الله عليه وسلم- هو الإستفهام عن المكان ((أين الله)) فتنقطع العلاقة بين الحديث والطلب "أتراها مؤمنة" أي تنقطع العلاقة بين السؤال والجواب، لعدم دلالة الاقرار بالمكان على التوحيد والإيمان، فيخرج القول عن مقتضى الحال، وما يقتضيه المقام من المقال، ويصير كلاما غير بليغ.

وهذا ما يدفعنا إلى القول بأن لفظ "أين الله" وقعت روايته بالمعنى، وأن الراوي في إحدى الطبقات لخطأ في التعبير، وذهل عن دلالة الأينية "أين" وعن عدم علاقتها بالتوحيد والإيمان، وسها عن مورد الحديث.

فإن قيل، فليكن لفظ الرسول -صلى الله عليه وسلم- هو "أين الله" ولفظ الراوى هو "أتشهدين" رواية بالمعنى على الصورة السابقة، فالجواب أنه لم يصح عن النبي -صلى الله عليه وسلم- فى تلقين الإيمان طول أداء رسالته السؤال بأين، أو ذكر ما

---

[1] يسلم ابن تيمية بأن المقصود بالسؤال هو امتحانها ليعرف أنها مؤمنة أم لا . مجموع الفتاوى 192،5

يوهم المكان ولا مرة واحدة فى غير هذه القصة المضطربة، بل الثابت هو تلقين كلمة الشهادة، فاللفظ الجارى على الجادة أجدر بأن يكون لفظ الرسول -صلى الله عليه وسلم-[1] والدليل متى تطرق إليه الإحتمال بطل به الإستدلال.

وعلى كل فالحديث كان مع جارية صغيرة بلهاء متخلفة فى الناحية العقلية، يدليل أن الصحابى انبهم عليه حالها مع إمتلاكه لها وعيشها معه، فجاء يسأل الرسول -صلى الله عليه وسلم- عن إيمانها، ومستوى البلهاء لا يتعدى المحسوسات.



---

[1] تكملة السيف الصقيل 108-109

الدليل الخامس

أدلة العروج والرفع

استدل ابن تيمية و ابن القيم على وجود الله تعالى فوق العرش بالآيات الكريمة:

﴿تعرج الملائكة والروح إليه﴾

﴿إليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه﴾

﴿يدبر الأمر من السماء إلى الأرض ثم يعرج إليه﴾

﴿إني متوفيك ورافعك إلي﴾

وجاء في الحديث الشريف ((فيعرج الذين باتوا فيكم إلى ربهم، فيسألهم وهو أعلم بهم))[1].

التقويم

1) في هذا الاستدلال وقوف على اللفظ المتشابه، وطرح للفظ المحكم، الذي بين غاية العروج، وهو قوله تعالى: ﴿ولقد رآه نزلة أخرى عند سدرة المنتهى﴾[2] أي التي ينتهي إليها كل شيء، قال عبد الله بن مسعود –رضي الله عنه–: إليها ينتهي ما يعرج به من الأرض، فيقبض منها، وإليها ينتهي ما يهبط به من فوقها، فيقبض منها.

وقال ابن عباس: سميت بذلك لأن إليها ينتهي علم الملائكة –عليهم السلام[3] –.

ومكان السدرة في قول الأكثر السماء السابعة[4]، وفي حديث ابن مسعود أنها في السماء السادسة[5].

وتنتهي لعظمتها في السابعة[6].

---

[1] انظر مجموع الفتاوى 136،5–137نونية ابن القيم–مع السيف الصقيل 102

[2] النجم 13 - 14

[3] إكمال الإكمال على صحيح مسلم 309،1

[4] المرجع السابق نفس المكان

[5] مسلم–الأبي- 325،1

[6] إكمال الإكمال 325،1

وسواء كانت في السادسة أو السابعة فهي تحت العرش بفاصل عظيم، ففي حديث الأوعال الذي يؤمن به ابن تيمية ((وفوق السماء السابعة بحر، بين أسفله وأعلاه، كما بين السماء والأرض [مسيرة خمسمائة عام] ثم فوق ذلك ثمانية أوعال، بين ركبهن وأظلافهن كما بين السماء والأرض، ثم فوق ذلك العرش، بين أسفله وأعلاه كما بين السماء والأرض))[1] فيكون ما بين سدرة المنتهى وبين نهاية العرش ما يزيد عن مسيرة ألف وخمسمائة عام.

والشاهد أن الانتهاء في العروج لم يكن لذات الله، وإنما كان لسدرة المنتهى.

وأضيف العروج إلى الله، كما أضيف الذهاب إليه في قوله تعالى على لسان إبراهيم -عليه السلام-: ﴿إني ذاهب إلى ربى سيهدين﴾ أي إلى الموضع الذي أمرني ربي أن أذهب إليه. أخرج ابن المنذر عن ابن عباس -رضي الله عنهما- في قوله: ((وقال إني ذاهب إلي ربي سيهدين)): قاله حين هاجر[2].

2) أن الآيات السابقة عبرت بلفظ ((إليه)) مع اختلاف المكان الذي ينتهي إليه الرفع والعروج:

فعروج الملائكة ينتهي إلى سدرة المنتهى، ومكان السدرة في السماء السادسة أو السابعة.

ورفع سيدنا عيسى -عليه السلام- كان للسماء الثانية، كما جاء في حديث المعراج[3].

فإن أخذنا بظاهر لفظ ((إليه)) وقلنا إنه يدل على مكان الله، يكون الله في مكانين: في السماء الثانية على ظاهر قوله تعالى: ﴿إنى متوفيك ورافعك إلي﴾ وفى السماء السابعة على ظاهر قوله تعالى: ﴿تعرج الملائكة والروح إليه﴾

وهذا التأويل الظاهري يخالف عقيدة ابن تيمية الذي يؤمن بأن الله موجود فوق العرش، ويعنى هذا مخالفة ابن تيمية لمنهجه في التحليل، أو عدم تدبره لما يورده من نصوص.

---

[1] مسند الإمام أحمد-الفتح- 2،

[2] الدر المنثور 304,5

[3] مسلم-الأبي 307,1

3) أن تحليله يؤدى إلى مخالفة تحليل السلف وعقيدتهم:

- قال حماد بن زيد: صعود الكلام كناية عن القبول[1].
- قال علي بن أبي طالب -رضي الله عنه-: كان الله ولا مكان، وهو الآن على ما عليه كان، وبمثل قوله قال الشافعي وجعفر الصادق وكثير من السلف، وقد سبق ذكر أقوالهم وعقيدتهم.



[1] إكمال الإكمال 309,1 وحماد بن زيد ممن يستدل به ابن تيمية.

حديث المعراج

استدل ابن تيمية[1] بحديث المعراج على وجود الله فوق العرش، وعلى تحديد مكانه. سبحانه وتعالى عما يقولون.

التقويم

لم يرد في حديث المعراج -كما قال ابن جهبل- أن الله فوق السماء، أو فوق العرش حقيقة، ولا كلمة واحدة من ذلك.

قال: وهو لم يسرد حديث المعراج، ولا بين وجه الدلالة منه حتى نجيب عنه، فلو بين وجه الدلالة لعرفنا كيف الجواب عنه[2].

وما جاء في حديث المعراج أن موسى -عليه السلام- قال للرسول -صلى الله عليه وسلم-: ((ارجع إلى ربك)) يساوى في التعبير والدلالة قوله -صلى الله عليه وسلم-: ((فيعرج الذين باتوا فيكم إلى ربكم))؛ ففي التعبير عبر كل منهما بلفظ ((إلى ربكم)) والميم في أحدهما علامة الجمع.

وفي الدلالة دل كل منهما على الموضع المقصود الذي جاء بيانه في الحديث الذي رواه مسلم في صحيحه عن ابن مسعود قال: أسري برسول الله -صلى الله عليه وسلم-، انتهى به إلى سدرة المنتهى... إليها ينتهي ما يعرج به من الأرض، فيقبض منها، وإليها ينتهي ما يهبط به من فوقها منها))[3]

وفي الحديث أيضا قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: ((ثم ذهب بي إلى سدرة المنتهى... فلما غشيها من أمر الله ما غشي تغيرت، فما أحد من خلق الله يستطيع أن ينعتها من حسنها، فأوحى الله إلي ما أوحى، ففرض علي خمسين صلاة[4].

---

[1] مجموع الفتاوى 137,5

[2] تكملة السيف الصقيل 102

[3] مسلم -الأبي- 325,1

[4] المرجع السابق والجزء 308-309.

وسدرة المنتهى في القول الصحيح موجودة في السماء السادسة[1]. وفي القول الأصح موجودة في السماء السابعة، والقول الأصح هو قول الأكثر، كما قال الحافظ عياض[2].

بينها وبين نهاية العرش بون عظيم، لا يقل عن مسيرة ألف وخمسمائة عام على حسب حديث الأوعال الذي يؤمن به ابن تيمية، وبينها وبين بداية العرش ما لا يقل عن ألف عام كما حكاه ابن تيمية في الرسالة الحموية ص122 حين قال: بين السماء السابعة والكرسي خمسمائة عام، وبين الكرسي والماء خمسمائة عام، والعرش فوق الماء، والله فوق العرش.

والنتيجة مما سبق أن مكان السدرة –أي مكان الوحي في ليلة المعراج– ليس مكان وجود الله، وهذا يدل على أن عبارة سيدنا موسى في قصة الاسراء والمعراج "ارجع إلى ربك" فيها مضاف محذوف، ويكون المعنى إلى موضع ربك المقدس الذي خصصه للمخاطبة.

والإضافة هنا للملكية والتشريف، كقوله تعالى: ﴿ناقة الله﴾ وكقوله صلى الله عليه وسلم عن الكعبة: ((بيت الله))

وعلى كل فلا يصح أن يكون مكانا لله عند ابن تيمية، لأنه ليس المكان الأعلى.

وابن تيمية هنا بين خيارين:

إما أن يسلم بتحديد أغلب الصحابة لمكان سدرة المنتهى بأنها في السماء السابعة، وأن بينها وبين العرش بون عظيم، فتنتفي الدلالة في حديث المعراج على أن لله مكانا.

وإما أن يأخذ بقول ابن عباس بأن مكان سدرة المنتهى في يمين العرش[3]. ويعتبر قوله حجة، فيصطدم بما صرح به في فتواه حين قال: لا يكون قول بعض الصحابة حجة مع مخالفة بعضهم له باتفاق العلماء[4].

---

[1] المرجع السابق 325،1

[2] إكمال الإكمال على مسلم 325،1

[3] إكمال الإكمال 325،1

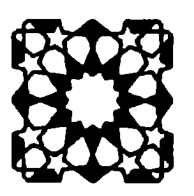
[4] مجموع الفتاوى 14،20

وابن عباس لم يأخذ المعلومة من رسول الله -صلى الله عليه وسلم- وإنما أخذها عن كعب[1] الأحبار، الذى يستند فى رواياته على الإسرائيليات.

وخطاب الله للرسول -صلى الله عليه وسلم- فى ذلك المكان لا يدل على أن الله في جهة، قال إمام الحرمين الجوينى عن الحديث الشريف: ((لا تفضلونى على يونس بن متى)): إن هذا الحديث يدل على أن النبي -صلى الله عليه وسلم- وهو عند سدرة المنتهى، لم يكن بأقرب إلى الله من موسى -عليه السلام- وهو فى بطن الحوت فى قعر البحر، فدل ذلك على أنه منزه عن الجهات، وإلا ما صح النهي عن التفضيل[2].

قال الإمام مالك: إنما خص يونس للتنزيه[3]، أي تنزيه الله عن الجهة.

ويونس عليه السلام كان فى مقام المخاطبة، فهو القائل فى بطن الحوت: ﴿لا إله إلا أنت سبحانك إنى كنت من الظالمين﴾ وخطابه فى بطن الحوت لله سبحانه، لا يدل على أن الله موجود فيه.



[1] الدر المنثور 139,6

[2] تكملة السيف 41

[3] نقل هذا القول عن الإمام مالك الإمام المالكى ناصر الدين بن المنير فى كتابه ((المقتفى فى شرف المصطفى)) المرجع السابق والصفحة.

أدلة أخرى

أورد ابن تيمية وابن القيم في كتبهم أحاديث أخرى، تكلم عنها نقاد الحديث بالتضعيف والرد، ومنها:

1) حديث سعد بن معاذ: "لقد حكم اليوم فيهم بحكم الله تعالى الذي حكم به من فوق سبع سماوات"

التقويم

في سند هذا الحديث :

- إسحاق بن محمد وابن أبي أويس متكلم فيهما.
- ابن صالح، قال عنه أبو حاتم : ليس بالقوي.

صفة هذا الحديث

قال الحافظ ابن العربي : هذا الحديث غير صحيح[1].

وعلى فرض صحته فالموجود فوق السماء السابعة غير الموجود فوق العرش، لأن الذي بينهما لا يقل عن ألف عام كما يقول ابن تيمية في الرسالة الحموية، فالحكم من فوق السماء السابعة غير الحكم من فوق العرش، كما أن الحكم من فوق السماء الخامسة غير الحكم من فوق السماء السابعة[2] .

والمقصود في الحديث فوقية السماء السابعة مباشرة، ودل على هذا حرف الجر من "من فوق" .

والذي فوق السماء السابعة سدرة المنتهى التي تتلقى عندها الملائكة الوحي والأحكام كما جاء في حديث مسلم[3] عن عبد الله بن مسعود، فحكم سعد مطابق لحكم الله المتلقي عند سدرة المنتهى التي هي فوق سبع سماوات، والذي حكم به على

---

[1] هامش الصفات 420

[2] بينهما ألف عام

[3] مسلم -الأبي 125.1

اليهود بالقتل والإعدام، وبمعنى آخر اجتهاد سعد مطـابق لنصـوص الشـريعة وأحكامها.

2) ومثل حديث سعد أثر عمر بن الخطاب الذي أخرجه البيهقي في الأسماء والصفات عن ابن زيد قال: لقي عمر بن الخطاب -رضي الله عنه- امرأة يقال لها خولـة، وهو يسير مع الناس، فاستوقفته، فوقف لها، ودنا منها وأصغى إليها رأسه، ووضع يديه على منكبيها، حتى قضت حاجتها وانصرفت، فقال له رجل: يا أمير المؤمنين، حبست رجال قريش على هذه العجوز؟ قال: ويحك وتدرى من هذه؟ قال: لا. قال: هذه امرأة سمع الله شكواها من فوق سبع سماوات، هذه خولة بنت ثعلبة، والله لـو لم تنصرف عني إلى الليل ما انصرفت حتى تقضي حاجتها[1].

ومعنى هذا الأثر أن الله سمعها سمع إجابة، وأكرمها بأن أنزل آيات أول المجادلة بسببها؛ لأنه إذا كنا سنفسر السمع فى الأثر بمجرد السمع لصوتها، لم يكن لهـذه المرأة حينئذ ما يميزها عن غيرها، لأن الله يسمع جميع البشر، كما يسمع صوتها، وبالتالى ليس هناك من سبب يدفع عمر بن الخطاب إلى هذا التوقير والتبجيل، فلما أجلها بما أجل، علمنا أنه يقصد سمعا معينا، وهو سمع الإجابة، على سبيل المجاز المرسل، من إطلاق السبب -السمع- وإرادة المسبب -الاجابة لشكوها التى اشتكت فيها زوجها لرسول الله -صلى الله عليه وسلم-[2] فيكون المقصود بالأثر أجاب الله شكواها من فوق سبع سماوات، بالوحي إلى ملائكة التبليغ، والوحي مكانـه فـى السماء عند سدرة المنتهى، التى هي فوق السماء السابعة مباشرة.

هذا كله إذا سلمنا بصحة الأثر وإلا فإن فى سنده:

- جرير بن حازم مختلط
- أبو زيد أو ابن زيد الذى حدث عن عمر لم يدرك عمر ولم يعرفه الإمـام مالك مع كونه مدنيا، أي من أهل بلده[3].

---

[1] الدر المنثور 198,6-199

[2] انظر القصة فى المرجع السابق وغيره من التفاسير

[3] هامش الأسماء والصفات للكوثرى 420

وصيغة الأثر عند البخارى فى تاريخه عن عمر، مخالفة لهذه الصيغة، فقد جـاء فيه: ما يمنعنى أن أستمع إليها، وهي التى استمع الله لها.[1]
وما جاء فيه موافق لمنهج السلف فى التعبير، الذين كانوا يراعون لفـظ القـرآن والحديث فيما يقولونه، ولفظ القرآن: ﴿قد سمع الله قول التى تجادلك فى زوجها﴾ بدون تحديد لمكان السمع.

3) حديث أبي رزين

جاء فى مسند الإمام أحمد: حدثنا بهز، حدثنا حماد بن سلمة، قال: أخبرنى يعلـى بن عطاء، عن وكيع بن حدس، عن عمه أبى رزين العقيلى أنه قال: يا رسول الله، أين كان ربنا عز وجل قبل أن يخلق السماوات والأرض؟
قال: كان فى عماء، ما فوقه هواء، وما تحته هواء، ثم خلق عرشه على الماء.[2]
وفى رواية "فى عمى" بالقصر.

التقويم

الكلام فى هذا الحديث من ناحيتين:

1) من حيث ثبوته.
2) من حيث تأويله.

من حيث الثبوت

فى سند هذا الحديث حماد بن سلمة، وقد سبق بيان حاله وطعن العلماء فيه، وقـد انفرد عن يعلى بن عطاء، ووكيع بن حدس مجهول الصفة، وقد انفرد عـن ابـن رزين[3].

---

[1] الدر المنثور 199,6
[2] مسند الإمام أحمد -الفتح- 3,20-4
[3] هامش الأسماء والصفات 445

من حيث تأويله

أول ابن الأثير هذا الحديث بأنه مبنى على حذف مضاف؛ تقديره أين كان عرش ربنا؟ فأجابه النبي -صلى الله عليه وسلم- بأنه كان فى عمى، ثم جعله فوق الماء، وفعل ((خلق)) متضمن لمعنى جعل وأظهر العرش تفخيما وتعظيما، والقرينة والعلامة على هذا التأويل أن التحديد الموجود فى قوله ((ما فوقه هواء وما تحته هواء)) لا يمكن أن يعود على ((عمى)) فى رواية القصر، لأن العمى يعني المعدوم[1]، والمعدوم غير موجود، والتحديد من صفة الموجودات.

ويمكن أن يعود على "عماء" -السحاب الرقيق- فى رواية المد، بشرط أن لا يرجع الضمير المستتر فى ((كان فى عماء)) إلى الله.

وهذا الشرط يتوافق مع عقيدة ابن تيمية وعقيدة غيره؛ لأن السحاب محدد في الحديث من جهة الفوق والتحت "ما فوقه هواء وما تحته هواء" والموجود في المحدد محدد، وعقيدة ابن تيمية أن الله لا نهاية لذاته من أعلى[2]. عليه فلا يمكن أن يرجع الضمير عليه، لأن الحديث يخبر عن شئ موجود في السحاب، له نهاية علوية .

والسلف الصالح ينفي صفة الحد عن الله مطلقاً:

قال زين العابدين: أنت الله الذي لا تحد[3].

وقال أبو حنيفة في كتابه الفقه الأكبر: ولا حد له ولا ضد[4].

---

[1] لان معناه لاشيء ثابت، وأطلق عليه لفظ العمى لأنه عمي عن الخلق لكونه غير شيء. الفتح الربـاني فـي مسند الإمام أحمد 4,20

[2] وهي عقيدة أهل الظاهر الذين يبطلون التأويل. انظر كتاب "إبطال التأويلات" لأبى يعلى الحنبلى الذى صرح فيه بأن لله نهاية من أسفل فقط، وهو مار فى اليمنة واليسرة والفوق والأمام والخلف إلى غير غاية ولا نهاية. تكملة السيف 116

[3] المقالات السنية 89

[4] الفقه الأكبر 57

- وقال الإمام الشافعي: اعلموا أن الحد والنهاية لا يجوز على الله تعالى، ومعنى الحد طرف الشيء ونهايته.. لأن ما كان محدوداً متناهياً صح أن يتوهم فيه الزيادة والنقصان، وأن يوجد مثله، فكان لاختصاصه نوع من النهاية، والتحديد الذي يصح أن يكون أكبر منه أو أصغر، يقتضي أن يكون له مخصص يخصصه على حد ونهاية، وخلقه على قدر، وذلك دلالة الحدوث، تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً[1].
- قال الإمام أحمد بن حنبل الذي أخرج الحديث "أين كان ربنا" : لا تلحقه الحدود قبل خلق العرش، ولا بعد خلق العرش[2] .
- وجاء في العقيدة الطحاوية التي تعبر عن آراء السلف: تعالى عن الحدود والغايات[3]. والحاصل أن الموجودات قبل خلق السماوات والأرض: الله، والعرش، والماء، والقلم. ولا يصلح أن يكون المتحدث عنه هو الله في الحديث الشريف.

وأنت بالخيار، إما أن تقف عند هذا الحد بعد أن صرفت الحديث عن ظاهره، وتكل المعنى المقصود به إلى الله، أو تجتهد في تحديده، استعانة بالأحاديث الأخرى، أو بالقرائن اللفظية في الحديث كما فعل ابن الأثير .

4) حديث أبي الدرداء "ربنا الذي في السماء تقدس اسمك"

التقويم

هذا الحديث غير صحيح، لأن في سنده زيادة بن محمد منكر الحديث[4]، وعلى فرض صحته، فلا يتعين حمله على المكانية لله سبحانه، لأن أصل الجملة كان هكذا : "ربنا الذي تقدس اسمك في السماء، عند الملائكة الكرام"، وبهذا فلا دلالة فيه على ما يريد الظاهرية حمله عليه.

---

[1] الفقه الأكبر للشافعي ص8

[2] اعتقاد الإمام أحمد لرئيس الحنابلة أبو الفضل التميمي ص6 مخطوط المقالات السنية 121

[3] هامش الأسماء والصفات 423

[4] هامش الأسماء والصفات 423

وأدنى ما يقال فيه القاعدة الأصولية: الدليل متى تطرق إليه الإحتمال بطل به الاستدلال .

5) حديث عمران حين سأله النبي -صلى الله عليه وسلم-: ((كم تعبد اليوم من إله؟)) قال: سبعة: ستة في الأرض، وواحد في السماء .
قال: ((فأيهم تعد لرغبتك)). قال: الذي في السماء. قال: ((أما إنك لو أسلمت علمتك كلمتين تنفعانك))، قال: فلما أسلم أتى النبي -صلى الله عليه وسلم - فقال: يا رسول الله، علمني الكلمتين اللتين وعدتهما، قال صلى الله عليه وسلم -: ((قل اللهم ألهمني رشدي، وقني شر نفسي)).

التقويم

في سند هذا الحديث شبيب ضعفه النسائي وغيره .
وعلى فرض صحته فلا يجوز به الاستدلال على إثبات المكان لله، لأن هذا السؤال وقع يوم كان حصين مشركاً، ولا يكون من باب الإقرار ما يشاهده النبي -صلى الله عليه وسلم - في المشرك ويسكت عنه، لأنه لو حمل على الإقرار لعد سكوته على قوله بوجود الآلهة في الأرض إقراراً أيضاً .
وعرض النبي -صلى الله عليه وسلم -الإسلام على حصين بعد ما تكلم بما تكلم به صريح في استنكار ما قاله[1] .

6) قول ابن المبارك الذي رواه علي بن الحسن بن شقيق، أخبرنا أبو عبد الله قال سمعت أبا جعفر محمد بن صالح بن هارون يقول سمعت محمد بن نعيم، يقول:- سمعت الحسن بن الصباح البزار يقول: سمعت علي بن الحسن يقول: سألت عبد الله بن المبارك: كيف تعرف ربنا؟ قال: في السماء السابعة على عرشه. قلت: فإن الجهمية تقول هو هذا . قال: "إنا لا نقول كما قالت الجهمية تقول: هو هو. قلت: بحد، قال إي والله بحد .

---

[1] المرجع السابق 423-424

- في سنده الحسن بن الصباح قال عنه النسائي: ليس بالقوي، وابن شقيق تكلموا فيه في الإرجاء[1].
- في متنه عدم الانسجام بين السؤال والجواب، فالسؤال بكيف، والجواب بالمكان.
- في عقيدته مخالفة لعقيدة السلف الصالح الذين ينزهون الله عن الحد، وقد تقدم نقل أقوال الأئمة في هذا، فراجعه إن شئت .
- في طريقة تعبيره مخالفة لمنهج السلف الذين كانوا يراعون لفظ القرآن والحديث فيما يثبتونه، فلفظ، "في السماء السابعة" لم يرد في الكتاب والسنة الصحيحة.

ويجل مقدار الإمام أن يكون من الشاذين في عقيدته ومنهجه عن السلف الصالح.

مما يدل على أن الخلل الواقع فيه جاء عن طريق أحد الرواة .

وعلى كل فقوله لا يعتبر من الأدلة الشرعية التي يستند إليها في الشريعة .

وهناك أحاديث أخرى استدل بها ابن تيمية وابن القيم تكلم فيها العلماء بالنقد والطعن فراجعها إن أحببت في مظانها[2] .



[1] المرجع السابق 426-427

[2] كهامش الأسماء والصفات للكوثري، وتكملة السيف الصقيل له، وفي كتابه "المقالات"

أصناف العلماء

يمكن تصنيف العلماء الذين ينقل عنهم ابن تيمية وابن القيم فى كتبهما أن الله فى السماء إلى :

1. كذابين.

ومن أمثلتهم:-

أ. أبو مطيع البلخى[1] الذى نقل عن أبى حنيفة أن الله فى السماء، قال عنه ابن حجر فى لسان الميزان[2]: قال أبو حاتم الرازى: كان مرجئا كذابا.
وقال عنه الإمام أحمد: لا ينبغى أن يروى عنه شيء، وعن ابن معين إنه ليس بشيء[3].

ب. ابن بطة
قال عنه الحافظ ابن حجر: وقفت لابن بطة على أمر استعظمته، واقشعر جلدى منه[4].

ج. الكلبى ، قال عنه يحي بن معين: ليس بشيء[5]، وروايته عن أبى صالح سلسلة الكذب[6].

د. أبو العز بن كادش أحمد بن عبدالله من أصحاب العشارى كان كذابا يضع الحديث باعترافه كما جاء فى الميزان.

---

[1] مجموع الفتاوى 183,5
[2] 335,2
[3] الميزان 574,1
[4] لسان الميزان 113,4، تاريخ بغداد 375,10
[5] تكملة السيف 206
[6] التحرير والتنوير لابن عاشور

قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: ((يكون في آخر الزمان دجالون كذابون، يأتونكم من الأحاديث بما لم تسمعوا أنتم ولا آباؤكم، فاياكم واياهم، لا يضلونكم ولا يفتنونكم))[1]

2. **قائلون بالتجسيم للذات الإلهية**

ومن أمثلتهم أبو الحسن محمد بن عبدالملك الكرجى الشافعى صاحب الفصول، وأبو الخير يحي العمرانى، قال المحدث الكوثرى: قد كفانا مؤنة الرد عليهما ما قاله فيهما ابن السبكى واليافعى الشافعيان[2].

3. **قائلون بالتشبية** كمحمد بن أبى شيبة صاحب كتاب العرش، الذى اجتمع فيه وصف التشبيه والكذب[3]، وكمقاتل بن سليمان الذى قال عنه الإمام أبو حنيفة -كما جاء فى تهذيب التهذيب-: أتانا من المشرق رأيان خبيثان: جهم معطل، ومقاتل مشبه.

وقال: أفرط جهم فى النفي حتى قال: إن الله ليس بشيء، وأفرط مقاتل فى الاثبات، حتى جعل الله تعالى مثل خلقه[4].

وقد روى البغوى الشافعى عنه وعن الكلبى، مصرحا بهما، اعتمادا على قول أهل النقد فيهما، ودلالة على أن هذا القول -العلو الحسى- قول أهل الزيغ.

4. **غير متخصصين**

ومن أمثلتهم

أ. ابن خزيمة، الذى يقول عن نفسه: ما تنكرون على فقيه راوى حديث، أنه لا يحسن الكلام[5] أي علم العقيدة الذى من أسمائه علم الكلام.

قال الإمام البيهقى: أخبرنا أبو عبدالله الحافظ، قال: سمعت أبا الحسن علي بن أحمد الزاهد البوشنجي يقول: دخلت على عبدالرحمن بن أبى حاتم الرازى

---

[1] مسلم -الأبى- 21.1

[2] التكملة نفس المكان

[3] نفس المكان

[4] فرقان القرآن للعزامى 21

[5] الأسماء والصفات للبيهقى 267

بالري، فأخبرته بما جرى بنيسابور بين أبى بكر بن خزيمة وبين أصحابه، فقال: ما لأبى بكر والكلام، إنما الأولى بنا وبه أن لا نتكلم فيما لم نتعلمه.

فخرجت من عنده حتى دخلت على أبى العباس القلانسى، فقال: كان بعض القدرية -من الفرق المنحرفة- وقع إلى محمد بن إسحاق، فوقع لكلامه عنده قبول [أي تأثر بهم، ونقل قولهم بلا تمحيص] ثم خرجت إلى بغداد، فلم أدع فيها فقيها ولا متكلما إلا عرضت عليه تلك المسائل، فما منهم من أحد إلا وهو يتابع أبا العباس القلانسى على مقالته، ويغتم لأبى بكر بن إسحاق فيما أظهره[1].

وحاصل هذه النقولات:

- أن ابن خزيمة ليس من أهل الذكر فى علم الكلام، فلا ينبغى ولا يجوز الاعتماد عليه فيه ﴿فاسألوا أهل الذكر﴾
- أنه مخالف لجمهرة الفقهاء والعلماء فى زمنه، وأنهم مستاؤن منه لشذوذه، وخروجه عن الطريق المستقيم، وتكلمه فيما لا يعلم، وابن تيمية يصف هذا الشيخ غير المتخصص وغير المتقن لعلم الكلام بأنه إمام الأئمة[2]، مع أن الله يقول ﴿الرحمن فاسأل به خبيرا﴾ ومع أن السلف الصالح يلهجون بالأثر الصريح ((انظروا عمن تأخذون دينكم))

ب. ومن أمثلة هذا الصنف ابن أبى حاتم الذى أقر على نفسه بأنه يجهل علم الكلام[3] واللالكائى والطلمنكى إسماعيل التيمى اللذين تكلما فى غير تخصصهما[4].

5. **علماء ينكرون المجاز** كابن خويز منداد من المالكية، وكأبي عبد الله بن حامد؛ وابن الزغواني وصاحبه القاضي[5]، وقد سبق في التمهيد بيان بطلان هذا المذهب، ومن كلام ابن حزم عن ابن خويز منداد يفهم أنه إنما أنكر المجاز،

---

[1] المرجع السابق 267-269

[2] مجموع الفتاوى 138,5

[3] الأسماء للبيهقى 199

[4] تكملة السيف 125

[5] مذكرة أصول الفقه للشنقيطي 58:المجاز للمطعني 1122,2

ليثبت أن الحجارة لها عقل به تخشى الله، كما يخشاه العقلاء، وهذا ما يفيده ظاهر النص الكريم ﴿وإن منها لما يهبط من خشية الله﴾ وقد حمل عليه ابن حزم في كتابه "الأحكام في أصول الأحكام 543,4" وعلى أمثاله حملة عنيفة، وسخر منه ومن عقله الذي زعم أن للحجارة عقلاً[1]. ومستند ابن خويز منداد في إنكار المجاز – كما ترى لا وزن له، وما بناه من الأحكام في تحليل الآيات المتشابهة على هذا الأساس يأخذ حكمه.

أما ابن حامد ومن معه من الحنابلة فقد قال عنهم الحافظ ابن الجوزي: رأيت من تكلم من أصحابنا في الأصول بما لا يصلح، وانتدب للتصنيف منهم ثلاثة، ابن حامد وصاحبه القاضي، وابن الزغواني، صنفوا كتبا شانوا بها المذهب، وقد رأيتهم نزلوا إلى مرتبة فحملوا الصفات على مقتضى الحس... وقد أخذوا بالظواهر في الأسماء والصفات، فسموا الصفات تسمية مبتدعة، لا دليل لهم في ذلك من النقل ولا من العقل، ولم يلتفتوا إلى النصوص الصارفة عن الظواهر إلى المعاني الواجبة لله سبحانه وتعالى، ولا إلى إلغاء ما توجبه الظواهر من سمات الحدث، ولم يقنعوا أن يقولوا صفة فعل حتى قالوا صفة ذات، ثم لما أثبتوا أنها صفات قالوا لا نحملها على ما توجبه اللغة مثل اليد على النعمة أو القدرة، ولا المجئ على معنى البر واللطف، ولا الساق على الشدة، ونحو ذلك، بل قالوا نحملها على ظواهرها المتعارفة، والظاهر هو المعهود من نعوت الآدميين... وهم يتحرجون من التشبيه، ويأنفون من إضافته إليهم، ويقولون نحن أهل السنة، وكلامهم صريح في التشبيه، وقد تبعهم خلق من العوام على ذلك، لجهلهم ونقص عقولهم، وكفروا تقليدا، وقد نصحت للتابع والمتبوع، ...

هل بلغكم أنه –أي الإمام أحمد– قال: إن الإستواء من صفة الذات المقدس أو صفة الفعل؟

فمن أين أقدمتم على هذه الأشياء؟

---

[1] المجاز للمطعني 1122,2

وهذا كله ابتداع قبيح...فلا تدخلوا في مذهب هذا الرجل الصالح السلفي- أعنى الإمام أحمد-ما ليس منه، فلقد كسوتم هذا المذهب شيئاً قبيحاً، حتى لا يقال عن حنبلي إلا مجسم، ثم زينتم مذهبكم بالعصبية ليزيد، وقد علمتم أن صاحب المذهب أجاز لعنته، وقد كان أبو محمد التميمي يقول في بعض أئمتكم: لقد شان المذهب شيئاً قبيحاً لا يغسل إلى يوم القيامة![1].

6. علماء لا يعتد برواياتهم، كحماد بن سلمة، وكعبد الله بن نافع بن الصائغ، فلقد كان حماد مختلطاً يدخل في حديثه ربيباه ما شاءا.

قال المحدث الكوثري: يكفي في معرفة حال حماد بن سلمة الإطلاع على كتب الموضوعات- أي التي تتحدث عن الأحاديث الموضوعة المكذوبة، في باب التوحيد منها خاصة، فيرى فيها القارئ أخباراً تالفة رويت بطريقه بكثرة، بل ما سرد ابن عدي نفسه في الكامل في ترجمة حماد هذا، من الأحاديث التالفة المروية بطريقه، كاف في معرفة سقوط ما يرد من طريقه وروايته، بل سقوط ابن عدي المتحمس دونه[2] .

وقال عنه إبراهيم بن عبد الرحمن بن مهدي: كان حماد بن سلمة لا يعرف بهذه الأحاديث، حتى خرج خرجة إلى عبدان، فجاء وهو يرويها، فلا أحسب إلا شيطاناً خرج إليه في البحر، فألقاها إليه[3] .

وعبد الله بن نافع الذي يروي عن مالك أنه قال " الله في السماء" قال عنه الإمام أحمد: عبد الله بن نافع الصائغ لم يكن صاحب حديث، وكان ضعيفاً فيه، وقال عنه ابن عدي: يروي غرائب عن مالك. وقال ابن فرحون: كان أصماً أميا لا يكتب[4].

---

[1] دفع شبه من تشبه وتمرد 6-7

[2] تكملة السيف 111

[3] المرجع السابق 110 قال عبدالله بن مسعود -رضي الله عنه-: إن الشيطان ليتمثل في صورة الرجل، فيأتي القوم فيحدثهم بالحديث من الكذب . مسلم -الأبي- 21,1

[4] المرجع السابق 129

7. **علماء مكذوب عليهم**

ومن أمثلتهم:

أ. الشيخ عبد القادر الجيلاني، الذي نقل ابن تيمية من كتابه "الغنية" قوله: وينبغي إطلاق صفة الاستواء من غير تأويل، وأنه استواء الذات على العرش[1].

وقد ذكر اليافعي في نشر المحاسن، وابن حجر المكي في فتاويه، والنجم الأصفهاني، أن ذكر الجهة- أي كونه تعالى في الأعلى على العرش- ونحوه مدسوس في كتب الشيخ عبد القادر، وأنهم لا يعتدون بروايات أمثال الذهبي وابن القيم وشيخه وابن رجب عنه في هذا الصدد، لأنهم متهمون عندهم فيما يتعلق بالجهة[2]، ويؤكد هذا الدس ما جاء في عقيدة الأكابر للشيخ نفسه: أيّن الأين وتنزه عن الأينية.

- قال الحافظ صلاح الدين العلائي عن الذهبي : لا أشك في دينه وورعه وتحريه فيما يقوله عن الناس، ولكنه غلب عليه مذهب الإثبات ، ومنافرة التأويل، والغفلة عن التنزيه، حتى أثر ذلك في طبعه انحرافا شديدا عن أهل التنزيه، وميلا قويا إلى أهل الإثبات، فإذا ترجم لواحد منهم، يطنب في وصفه بجميع ما قيل فيه من المحاسن، ويبالغ في وصفه، ويتغافل عن غلطاته، ويتأول له ما أمكن، وإذا ذكر أحدا من الطرف الآخر كإمام الحرمين، والغزالي، ونحوهما، لا يبالغ في وصفه، ويكثر من قول من طعن فيه، ويعيد ذلك ويبديه، ويعتقده ديناً، وهو لا يشعر، ويعرض عن محاسنهم الطافحة فلايستوعبها، وإذا ظفر لأحد منهم بغلطة ذكرها، وكذلك يفعل في أهل عصرنا، إذا لم يقدر ذلك على أحد منهم بتصريح يقول في ترجمته: والله يصلح... ونحو ذلك، وسببه المخالفة في العقائد[3].

- قال التاج ابن السبكي: الحال في شيخنا الذهبي أزيد مما وصف، وهو شيخنا ومعلمنا، غير أن الحق أحق أن يتبع، وقد وصل من التعصب المفرط إلى حد

---

[1] مجموع الفتاوي 5,85-86

[2] التكملة 113-114

[3] نقل عنه المحدث الكوثري في التكملة 202-203

يسخر منه... والذي أدركنا عليه المشائخ النهي عن النظر في كلامه، وعدم اعتبار قوله، ولم يكن يستجري أن يظهر كتبه التاريخية إلا لمن يغلب على ظنه أنه لا ينقل عنه ما يعاب عليه، وأما قول العلائي عن دينه وورعه وتحريه فيما يقوله، فقد كنت أعتقد ذلك، وأقول عند هذه الأشياء ربما اعتقدها ديناً، ومنها أمور أقطع بأنه يعرف بأنها كذب، وأقطع بأنه لا يختلقها، وأقطع بأنه يحب وضعها في كتبه لتنشر، وأقطع بأنه يحب أن يعتقد سامعها صحتها بغضا للمتحدث فيه، وتنفيرا للناس عنه، مع قلة معرفته بمدلولات الألفاظ ومع اعتقاده أن ذلك مما يوجب نصرا للعقيدة..."

وقال التاج أيضا فى طبقاته، وهو يترجم لإمام الحرمين ما نصه: "وقد كان الذهبى لا يدرى شرح البرهان، ولا هذه الصناعة، ولكنه يسمع خرافات من طلبة الحنابلة فيعتقدها حقا، ويودعها تصانيفه[1].

ب. الإمام الشافعى، فاعتقاده المذكور فى ثبت الكورانى كذب موضوع، مروى بطريق ابن كادش والعشارى وأولهما كان كذابا، يضع الحديث كما جاء فى الميزان، وثانيهما كان مغفلا يتقن ما يلقن[2].

ومما ينفى عن الإمام القول بالإثبات الظاهرى للاستواء على العرش قوله فى كتابه "الفقه الأكبر" واعلموا أن البارى لا مكان له، والدليل عليه هو أن الله تعالى كان ولا مكان، فخلق المكان، وهو على صفته الأزلية، كما كان قبل خلقه المكان.

وصرح العلم العراقى أن الإمام الشافعى ومالكا وأبا حنيفة والأشعرى والباقلانى كانوا يقولون: إن معتقد الجهة كافر[3].

ج. الإمام البيهقى الذى نقل عنه ابن تيمية أنه يقول فى باب الاستواء أن الله على عرشه، وأنه يبطل قول من يقول إن الله بذاته فى كل مكان[4].

---

[1] التكملة 203

[2] المرجع السابق 206

[3] التكملة 116

[4] مجموع الفتاوى 192.5-193

والإمام البيهقى بعيد عما يريد ابن تيمية نسبته إليه، فهو يرى انحصار الحق في قوله تعالى: ﴿ثم استوى على العرش﴾ فى طريقتين:

- طريقة التفويض التى تكل المعنى المراد بالجملة إلى الله.
- طريقة التأويل.

وأصحاب التأويل فى رأي البيهقى لا يقصدون بالعلو فيه علو الذات، وإنما علو المكانة.

فالبيهقى كما قال الدكتور أحمد بن عطية الغامدى -من أتباع ابن تيمية-: لا يرى الاثبات الحقيقى[1]، وينزه الله تعالى عن الجهة والمكان[2].

8. علماء لا تدل عباراتهم صراحة على الإثبات الحقيقي -أي الجلوس والاستقرار- كقول مجاهد والطبرى: "استوى" علا على العرش، وكتفسير أبى العالية الرياحى الاستواء بالارتفاع، وكقول أحمد وإسحاق بن راهويه أن الله فوق سماواته.

فقد تقدم بيان مذهب السلف فى العلو، وأنهم يقصدون بالعلو علو القدرة لا علو الذات، وقد صرح الإمام ابن جرير الطبرى بقصده فى لفظ علا حين قال فى تفسير قوله تعالى: ﴿وهو العلي العظيم﴾ العلي الفعيل، من قولك علا يعلو إذا ارتفع، فهو عال وعلي، والعلي ذو العلو والارتفاع على خلقه بقدرته[3].

وتفسيره العلو بالعلو المعنوى هو الذى يليق بجلال الله كما سبق بيانه.

9. علماء أخذوا النظرية مسلمة ممن سبقهم بدون تحقيق كابن عبد البر الذي قال: إن أهل السنة مجمعون على الإقرار بالصفات الواردة كلها فى القرآن والسنة، والإيمان بها، وحملها على الحقيقة لا على المجاز[4].

وقد تقدم فى هذا البحث ما ينفى هذا القول، ويبطل هذا الإجماع:

---

[1] البيهقى وموقفه من الالهيات 275
[2] المرجع السابق 282
[3] تفسير ابن جرير الطبرى 192,1
[4] مجموع الفتاوى 87,5

- فقد أول ابن عباس الساق بالشدة.
- وأول الحسن البصرى القدم بالذين قدمهم الله من شرار خلقه.
- ونقل الإمام الربيع عن الصحابة تأويلاتهم لقوله تعالى: ﴿الرحمن على العرش استوى﴾
- وأول ابن جرير العلو بعلو القدرة[1].
- وأول قوله تعالى: ﴿والسماء بنيناها بأيدٍ﴾ بالقوة، ونقل تأويل الأيدي بالقوة عن ابن عباس ومجاهد وقتادة ومنصور وابن سفيان[2].

والأيدي في اللغة جمع يد، وهي الكف، جاء في القاموس، اليد الكف، أو من طرف الأصابع إلى الكتف، أصلها يدي، جمعها أيد ويدي.

- وأول الإمام البخاري الضحك بالرحمة[3].
- وروى البيهقي عن الحاكم عن أبي عمرو بن السماك عن حنبل أن أحمد بن حنبل تأول قوله تعالى: ﴿وجاء ربك﴾ أنه جاء ثوابه.

ثم قال البيهقي: وهذا إسناد لا غبار عليه[4].

- وأول ابن جرير قوله تعالى: ﴿تجري بأعيننا﴾ بأن المقصود منه مرأى منا ومنظر، ونقل أن سفيان أول ﴿بأعيننا﴾ بأمرنا[5].
- وأول كذلك ابن جرير قوله تعالى: ﴿وقالت اليهود يد الله مغلولة غلت أيديهم ولعنوا بما قالوا بل يداه مبسوطتان﴾ بأن المعنى المقصود من قوله ﴿يد الله مغلولة﴾ أن خير الله ممسك وعطاء محبوس، ومن قوله ﴿بل يداه مبسوطتان﴾ العطاء.

---

[1] تقدمت في هذا البحث التأويلات السابقة
[2] تفسير ابن جرير
[3] دقائق الاشارات 341
[4] البداية والنهاية 327،10
[5] تفسير ابن جرير

ثم قال: لأن عطاء الناس في وصف بعضهم بعضاً إذا وصفوه بجود وكرم، أو ببخل وشح وضيق، بإضافة ما كان ذلك في صفة الموصوف إلى يديه، كما قال الأعشى:

يداك يدا مجد فكف مقيدة وكف إذا ما ظن بالزاد تنفق

فأضاف ما كان صفة صاحب اليد من إنفاق وإفادة إلى اليد.

ومثل ذلك في كلام العرب في أشعارها وأمثالها أكثر من أن يحصى، فخاطبهم الله بما يعني بذلك أنهم قالوا: إن الله يبخل علينا، ويمنعنا فضله، فلا يفضل، كالمغلولة يده، الذي لا يقدر أن يبسطها بعطاء ولا بذل...

ثم قال: وبمثل الذي قلنا قال أهل التأويل كابن عباس وقتادة والضحاك[1].

وأول سفيان الثوري الوجه في قوله تعالى: ﴿كل شئ هالك إلا وجهه﴾ بالملك. وكذلك فعل الإمام البخاري[2].

وأول الإمام الحافظ أبو سليمان الخطابي اليمين في قوله- صلى الله عليه وسلم-: ((من تصدق بعدل ثمرة من كسب طيب، ولا يصعد إلى الله إلا الطيب، فإن الله يتقبلها بيمينه)) فقال: معناه حسن القبول، فإن العادة جرت من ذوى الأدب، بأن تصان اليمين عن الأشياء الدنية، وإنما يباشر بها الأشياء التي لها قدر ومزية[3].

وأول حماد بن زيد قوله-صلى الله عليه وسلم-: ((ينزل ربنا إلى السماء الدنيا)) بأنه كناية عن الإقبال[4].

وأول ابن عباس قوله تعالى: ﴿سنفرغ لكم أيها الثقلان﴾ بأنه وعيد من الله للعباد، وليس بالله شغل[5].

---

[1] المرجع السابق

[2] المقالات السنية 80

[3] إكمال الإكمال 301,1

[4] دقائق الإشارات 333

[5] المرجع السابق 356

- وأول قتادة: ((وإن دنوت مني شبرا دنوت منك ذراعا))[1] بالاسراع بالمغفرة[2].

- وقال الحافظ ابن العربي: قوله عليه السلام: ((تقع في كف الرحمـــان)) كـــلام صحيح يشهد له القرآن والسنة، فإن الله تعالى يقول في كتابه العزيز: ﴿ من ذا الذي يقرض الله قرضاً حسناً﴾ فعبر عن نفسه الكريمة بالمستقرض، فمـــن دفـــع للمستقرض شيئاً، فقد وقع ما دفع في كف المستقرض، كما أنه قال" مرضـــت فلم تعدني" فيكون المرض صفة؛ فكما أنه لا يكون المرض صـــفة لا يكـــون الكف كذلك[3].

- وصرح الإمام مالك والأوزاعي في قوله-صلى الله عليه وسلم-: ((ينزل ربنا إلى السماء الدنيا)) بأن الله لا يجوز عليه الإنتقال[4].

- وأول النظر بن شميل القدم في قوله- صلى الله عليه وسلم -: ((حتى يضـــع رب العزة فيها قدمه)) بأنهم الكفار الذين سبق في علم الله أنهم من أهل النار[5].

- وأول الإمام البيهقي قوله تعالى: ﴿يخادعون الله وهو خادعهم﴾ بأنهم يفسدون ما يظهرون من الإيمان، بما يضمرون من الكفر، ﴿وهو خادعهم﴾ أي يفسد عليهم نعمهم في الدنيا، بما يصيرهم إليه من عذاب الأخرة[6] .

- وروى البيهقي عن الشافعي في قوله تعالى: ﴿وهو الذي يبدأ الخلق ثم يعيده وهو أهون عليه﴾ أن ليس المقصود بأهون ظاهره، وإنما جاء على طريقة البشر في التعبير، فليس شيء يعظم الله عز وجل[7] .

---

[1] حديث يتكلم على التوبة

[2] رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح مجمع الزوائد 81,10

[3] البراهين الساطعة 274

[4] دفع شبه من تشبه وتمرد ص5

[5] دقائق الإشارات 287دفع شبه من تشبه 12

[6] الدقائق 354

[7] المرجع السابق 369

وقال الحافظ ابن حجر العسقلاني في فتح الباري عن حديث الصوت: لفظ الصوت مما يتوقف في إطلاق نسبته إلى الرب سبحانه، ويحتاج إلى تأويل[1] .

وقال الإمام الحافظ ابن دقيق العيد: إن كان التأويل من المجاز البين الشائع فالحق سلوكه من غير توقف[2].

وقال شريح– رضي الله عنه - في قوله تعالى: ﴿بل عجبتُ ويسخرون﴾ على قراءة الرفع في الضمير "عجبتُ": إن الله لا يعجب من شئ، إنما يعجب من لا يعلم[3]. قال ابن الأنباري: معنى عجب ربك زادهم إنعاما، فعبر بالعجب عن ذلك. قال الأئمة: لأن العجب إنما يكون من شيء يدهم الإنسان فيستعظمه مما لا يعلمه، وذلك إنما يكون فى المخلوق، وأما الخالق فلا يليق به ذلك، فمعناه عظم قدر ذلك شيء عنده، لأن المتعجب من الشيء يعظم قدره عنده.[4]

وأول الإمام المازري اليد في قوله صلى الله عليه وسلم : ((يطوي الله السماوات يوم القيامة، ثم يأخذهن بيده اليمنى)) بالقدرة[5].

وأول الإمام الشاطبي الوجه في قوله تعالى: ﴿كل شئ هالك إلا وجهه﴾ بالذات.

وأول الجنب في قوله: ﴿أن تقول نفس يا حسرتا على ما فرطت في جنب الله﴾ فقال: وهذا لا معنى للجنب فيه لا حقيقة ولا مجازا، لأن العرب تقول: هذا الأمر يصغر في جنب هذا، أي يصغر بالإضافة إلى الآخر، فكذلك الآية معناها ﴿يا حسرتا على ما فرطت في جنب الله﴾ أي فيما بيني وبين الله، إذا أضفت تفريطي إلى أمره ونهيه إياي، ثم قال: فقد ظهر بهذه الأمثلة، كيف يقع الخطأ في العربية في كلام الله سبحانه وتعالى، وسنة نبيه محمد –صلى الله عليه وسلم – وأن ذلك يؤدي إلى تحريف الكلم عن مواضعه، والصحابة

---

[1] فتح الباري 174,1

[2] التكملة 151

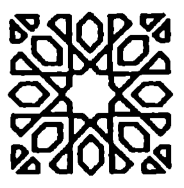
[3] دقائق الإشارات 345

[4] دفع شبه من تمرد 13

[5] البراهين الساطعة 272

-رضي الله عنهم- براء من ذلك، لأنهم عرب، لم يحتاجوا في فهم كـــلام الله تعالى إلى أدوات ولا تعلم[1] .

ونقل النووي في شرحه على صحيح مسلم عن القاضي عياض أنه لا خـــلاف بين المسلمين قاطبة؛ فقيهم، ومحدثهم، ومـــتكلمهم، ونظـــارهم، ومقلـــدهم أن الظواهر الواردة بذكر الله في السماء، كقوله تعـــالى: ﴿أأمنتم من في السماء﴾ ونحوه، ليس على ظاهرها، بل متأولة عند جميعهم[2]، أي جميع من يعتد بهم.



---

[1] الاعتصام 303,2

[2] 24,5

موقف الأئمة المالكية

نسب ابن تيميه إلى أئمة المالكية القول بالاستواء الحقيقي، أي الجلوس والاستقرار.

جاء في فتاويه: وكلام أئمة المالكية وقدمائهم في الإثبات كثير مشهور، حتى علماءهم حكوا إجماع أهل السنة والجماعة على أن الله بذاته فوق عرشه، وابن أبي زيد إنما ذكر ما ذكره سائر أئمة السلف، ولم يكن من أئمة المالكية من خالف ابن أبي زيد في هذا[1].

التقويم

كلام ابن تيميه ينقسم إلى قسمين :

1. حكاية الإجماع على الحمل الحقيقي في آية ﴿ثم استوى على العرش﴾.

وقد تقدم القول بعدم صحة هذا الإجماع، ويكفي في رده ما قاله الإمام الحافظ القاضي عياض -من أئمة المالكية- من أن أكثر المحدثين والفقهاء والمتكلمين على إحالة الجهة -أي القول بأن الله في جهة العلو على العرش من الأمور المستحيلة- وأن من صار إلى القول بالجهة هم دهماء الفقهاء والمتحدثين، وبعض متكلمي الأشاعرة، وكافة الكرامية[2] ."من الفرق المنحرفه"

2. نسبة القول بالجهة إلى أئمة المالكية.

---

[1] مجموع انفتاوي 182.5

[2] إكمال الإكمال على صحيح مسلم 241.2

وما نسبه إليهم غير صحيح، يقول الإمام الأبي -من أئمة المالكية- في شرحه على صحيح مسلم: ما نسب من القول بالجهة لا يصح، ولم يقع إلا لأبي عمر في الإستذكار والتمهيد، ولابن أبي زيد في الرسالة، وهو عنهما متأول[1].

وأنكر حفاظ المذهب المالكي وأئمته - كابن عبد السلام، وابن هارون، والسطي، وابن الصباغ، وغيرهم ما أنكره الأبي[2].

يقول الإمام شهاب الدين أحمد بن يحي بن جبريل الكلابي المتوفي سنة 733: ما حكاه ابن تيميه عن أبي عمر بن عبد البر، علم الخاص والعام مذهب للرجل، ومخالفة الناس له، ونكير المالكية عليه أولاً وآخراً مشهور، ومخالفته لإمام المغرب أبي الوليد الباجي معروفة، حتى إن فضلاء المغرب يقولون: لم يكن أحد بالمغرب يرى هذه المقالة غيره وغير ابن أبي زيد، غير أن العلماء منهم قد اعتذر عن ابن أبي زيد بما هو موجود في كلام القاضي الأجل أبي محمد عبد الوهاب البغدادي المالكي[3].

وقال الإمام الحافظ ابن العربي-من أئمة المالكية- قد تعدى إليه "أي حدوث النزول" قوم ليسوا من أهل العلم بالتفسير، فتعدوا عليه بالقول بالنكير، وقالوا في هذا الحديث دليل على أن الله في السماء على العرش من فوق سبع سماوات.

قلنا: هذا جهل عظيم، وإنما قال "ينزل إلى السماء" ولم يقل في هذا الحديث من أين ينزل، ولا كيف ينزل.

قالوا: وحجتهم ظاهر قول الله تعالى: ﴿الرحمن على العرش استوى﴾

قلنا: وما العرش في العربية ؟ وما الاستواء ؟

قالوا: كما قال الله تعالى: ﴿لتستووا على ظهوره﴾

قلنا: إن الله تعالى أن يمثل استواؤه على عرشه باستوائنا على ظهور الركائب.

---

1 المرجع السابق والجزء والصفحة

2 المرجع السابق نفس المكان

3 التوفيق الرباني192

قال: والذي يجب أن يعتقد في ذلك أن الله كـــان ولا شـــئ معـــه، ثـــم خلـــق المخلوقات من العرش إلى الفرش، فلم يتعين بها، ولا حدث له جهة منها، ولا كان له مكان فيها، فإنه لا يحول ولا يزول، قدوس لا يتغير ولا يستحيل[1].

- وقال ابن رشد في كتابه –فصل المقال– ص13: إن هاهنا ظاهر يجب علـــى أهل البرهان تأويله، وحملهم إياه على ظاهره كفر في حقهم، وتأويل غير أهل البرهان له، وإخراجه عن ظاهره كفر في حقهم، ومـــن هـــذا الصـــنف آيـــة الاستواء وحديث النزول .

- وقال الإمام القرطبي في تفسيره: ووصـــفه بـــالعلو والعظمـــة، لا بالأمـــاكن والجهات والحدود، لأنها صفات الأجسام، وإنما ترفع الأيـــدي بالـــدعاء إلـــى السماء، لأن السماء مهبط الوحي، ومنزل القطر، ومحل القدس... كما جعل الله الكعبة قبلة للدعاء والصلاة، ولأنه خلق الأمكنة وهو غير محتاج إليها، وكـــان في أزله قبل خلق المكان والزمان ولا مكان له ولا زمان، وهو الآن على مـــا عليه كان[2].

- وجاء في كتاب المنهاج القويم لابن حجر الهيثمي ص244: واعلم أن القرافي وغيره حكوا عن الشافعي ومالك وأحمد وأبي حنيفة –رضي الله عنهم– القول بكفر القائلين بالجهة والتجسيم[3] .

- قال ابن ناجي - من علماء المالكية–: ثبت علم السلف الصالح باستحالة الجهة، والقول بالفوقية الحسية[4].

وبمثل قوله قال الشيخ زروق[5].

---

[1] العارضة 232،2

[2] تفسير القرطبي 216،18

[3] الوهابية في العراء ص9

[4] ابن ناجي على الرسالة 28،1

[5] زروق على الرسالة 1،28-29

- يقول الشيخ الدردير -من حفاظ المذهب المالكي-: وأجاب أئمتنا سلفهم بأن الله تعالى منزه عن صفات الحوادث، مع تفويض معاني هذه النصوص إليه تعالى، إيثاراً للطريق الأسلم ﴿وما يعلم تأويله إلا الله﴾

وخلفهم بتعيين محامل صحيحة إبطالا لمذهب الضالين، وإرشادا للقاصرين، فحملوا اليد على القدرة، والوجه على الذات، والاستواء على الاستيلاء، وهكذا، ...

قال: والحاصل أنه لا بد من تأويل، أي حمل اللفظ على غير ظاهره[1].

- وقال الجزولى -من أئمة المالكية- فى حزبه التوحيد: لا يختص بالمكان، سبحانه عظيم. الاختصاص بالمكان من صفات المخلوقات[2].

- ورد الإمام مالك على القائلين بالجهة مبسوط فى العواصم عن القواصم لابن العربى[3].

- وصرح العلم العراقى أن الإمام مالكا يقول: إن معتقد الجهة كافر[4].

إلى غير هذا من النقولات الكثيرة التى تنفى ما يريد أن ينسبه ابن تيمية إلى المذهب المالكى.

ملاحظات:

1. فى كلام أئمة المالكية المنتقدين للقول بالجهة التغافل عن الطلمنكى، لأنه تكلم فى غير تخصصه -كما سبق بيانه- فقوله وعدمه سواء.
2. قول ابن أبى زيد القيروانى "وأنه فوق عرشه المجيد بذاته" لا يتعين حمله على الفوقية الحسية إلا بعد التصريح منه بأن المقصود بالفوقية الفوقية الحسية. لما سبق من القول أن السلف يفسرون العلو والفوقية بعلو المعنى، الذى يعبر عن كمال القدرة والتملك لكل الأشياء، كما صرح بذلك ابن جرير الطبرى وغيره،

---

[1] شرح الخريدة مع حاشية الصاوى 68-69

[2] حزب التوحيد مع الوظائف الثلاث 36 مكتبة النجاح

[3] مقالات الكوثرى 291

[4] تكملة السيف 116

فيصير معنى الجملة عند ابن أبى زيد أن استيلاء الله على العرش وتملكه لــه كان بذاته ونفسه، ولم يكن عن طريق ملك عظيم أو روح كبير.

هذا كله إذا سلمنا بصحة ثبوت العبارة عن الإمام، وإلا فإن الفاكهانى يقــول: سمعت شيخنا أبا علي البجائى يقول: إن هذه العبارة دســت علــى المؤلــف -رضي الله عنه-[1].

3. قال الشيخ حسن على السقاف فى كتابه "**إلقام الحجر علــى المتطــاول علــى الأشاعرة من البشر**": الحشوية المجسمة أتباع ابن تيمية متى خالف كلام الأئمة الكبار كلامهم واعتقادهم، وأرادوا أن يحتجوا بقول ذلك الإمام ليقنعــوا مــن حولهم... حرفوا وتلاعبوا بكلام ذلك الإمام ... وقد فعلوا فــى هــذه الفتــرة الأخيرة أشياء وتحريفات ... منها أنهم قاموا بطباعة كتاب "الأذكــار" للإمــام النووى، بإشراف إدارة هيئة البحوث والدعوة والإرشاد، بتحقيــق عبــدالقادر أرناؤوط، ونشر دار الهدى الرياض، وحرفوا قول الإمام النووى "**فصــل فــى زيارة قبر رسول الله**" فجعلوه "**فصل فى زيارة مسجد رسول الله**" وحذفوا بعده كلاما يقع فى ثلاثة أسطر، يخالف مشربهم... وحذفوا أيضا مــن آخــر ذلــك الفصل قصة العتبى التى ذكرها الإمام النووى، واستحبها أئمة الشافعية، كمــا قال الإمام النووى فى المجموع "274,8" وقد رجعت إلى عدة نسخ مطبوعة، وإلى المخطوط، وإلى شرح العلامة ابن علان على الأذكار، لأتحقق من ذلــك التلاعب، الذى لم يشر إليه المحقق والطابعون، لا فى المقدمة ولا فى موضع الحذف وليست هذه الأفعال إلا تحريف وتلاعب بكلام الأئمــة، وزرع بــذور الشك بما فى أيدى الناس من كتب علماء الإسلام والأئمة وكتب التراث.

قال:

ومن تحريفاتهم أن حذفوا قطعة تامة من كلام الإمام أبى الحســن الأشــعرى، حين طبعوا كتابه "الابانة" ينفى فيها أن الله استوى على العرش بذاته.

وهذه القطعة هي:

---

[1] ابن ناجي على الرسالة 28,1

"وأن الله تعالى استوى على العرش على الوجه الذى قاله، وبالمعنى الذى أراده، استواء منزها عن المماسة والاستقرار والتمكن والحلول والانتقال.
لا يحمله العرش، بل العرش وحملته محفوفون بلطف قدرته، ومقهورون فى قبضته، وهو فوق العرش، وفوق كل شيء إلى تخوم الثرى، فوقية لا تزيد قربا إلى العرش والسماء، بل هو رفيع الدرجات عن العرش، كما أنه رفيع الدرجات عن الثرى، وهو مع ذلك قريب من كل موجود، وهو أقرب إلى العبد من حبل الوريد، وهو على كل شيء شهيد"[1]

وهذا -كما قال الشيخ السقاف- كلام محقق على أربع نسخ خطية بتحقيق الدكتورة فوقية دار الأنصار ص21، وهو محذوف من نسخ الابانة المطبوعة فى الأسواق.

4. أتباع المذهب الظاهرى يتسقطون هفوات الأقلام، فيستدلون بقول الإمام القرطبى فى كتابه "الأسنى فى شرح أسماء الله الحسنى" بأن القرآن نطق بإثبات الجهة[2]، وينسون قوله فى التفسير إن الله ليس له مكان[3]، وقوله فى الأذكار حين التعرض لقوله تعالى: ﴿أأمنتم من فى السماء﴾ وقوله عليه السلام للجارية ((أين الله؟)) قالت: فى السماء: وما كان مثله ليس على ظاهره، بل هو مؤول تأويلات صحيحة، قد أبداها كثير من أهل العلم فى كتبهم[4].

وقوله أيضا فى الأذكار: متبعوا المتشابه لا يخلو أن يتبعوه ويجمعوه طلبا للتشكيك فى القرآن وإضلال العوام، كما فعلته الزنادقة والقرامطة والطاعنون فى القرآن، أو طلبا لاعتقاد ظواهر المتشابه، كما فعلته المجسمة الذين جمعوا ما فى الكتاب والسنة، مما يوهم ظاهره الجسمية، حتى اعتقدوا أن البارى جسم مجسم، وصورة مصورة، وذات وجه، وغير ذلك من يد وعين وجنب وأصبع -تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا- "وهذا ما يراه ابن تيمية وأتباعه"

---

[1] إلقام الحجر 17-19

[2] انظر هامش التذكار فى أفضل الأذكار ص25 دراسة فواز أحمد زمرلى

[3] 216,18

[4] الأذكار 24-25

قال القرطبي: أو يتبعوه على جهة إبداء تأويلها أو إيضاح معانيها، كما فعل صبيغ حين أكثر على عمر فيه من السؤال.

فهذه أربعة أقسام:

الأول- أي المشككون -لا شك في كفرهم، وأن حكم الله فيهم القتل من غير استتابة.

الثاني- الذين يعتقدون الظاهر -الصحيح القول بتكفيرهم، إذ لا فرق بينهم وبين عباد الأصنام والصور، ويستتابون، فإن تابوا وإلا قتلوا، كما يفعل بمن ارتد[1]...

وقوله في الأذكار: وأما ما يمكن حمله على وجوه في اللغة، فمباح في كلام العرب، فيتأول ويعلم تأويله المستقيم، ويزال ما فيه عما عسى أن يتعلق بتأويل غير مستقيم[2].

وله أقوال أخرى متعددة في تفسيره تؤكد هذا وتدل عليه، أفيترك غالب أقواله ويترك الاستدلال بها، ويؤتى لنص واحد ليس هناك ما يدل عليه شرعا ولا ما يعلم أنه له أو مدسوس عليه، لتناقضه الواضح مع أقواله الأخرى الكثيرة المتعددة الموجودة في أكثر من كتاب.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم في كل وقت وحين.

وكان آخر التمام عند آذان العصر يوم الثلاثاء 2001/9/4 في بلاد تاجوراء التي هي إحدى ضواحي طرابلس الغرب.



[1] الأذكار 282

[2] المرجع السابق 286

فهرست المواضيع

الموضوع	الصفحة
مقدمة	1
تمهيد..	4
مذاهب العلماء فى الآيات المتشابهة	4
التقويم الإجمالى لمذهب ابن تيمية........................	8
اعتراضات ابن القيم والاجابة عنها	14
النقد التفصيلى..	24
مبحث الصوت..	25
عقيدة ابن تيمية	25
نقدها من حيث التحليل	
النقد الأول	27
النقد الثانى	29
النقد الثالث..	30
النقد الرابع..	33
النقد الخامس	35
النقد السادس	36
النقد السابع..	37
النقد الثامن..	42
نقدها من حيث النص	
النص الأول ﴿وناديناه من جانب ...﴾........................	43
النص الثانى ((..فينادي بصوت..))	45
النص الثالث (حديث السلسلة)........................	46
النص الرابع ((يحشر الله العباد فيناديهم بصوت))........................	47
قاعدة التأويل لضمائر الجمع	49
أمثلة القاعدة..	50
تطبيق القاعدة على الموضوع........................	52

الموضوع	الصفحة
شبهة الإسناد فى حديث ((أنا الديان، أنا الملك))	54
طريقة التعبير الدينى عادة الاستعمال حين تسند الفعل إلى الله	55
حديث ((إن ربى عز وجل أتانى الليلة))	60
حديث ((إن الله خلق آدم على صورته))	61
حديث ((إن الله لم يمس شيئا إلا ثلاثة))	63
آية ﴿يوم نطوي السماء﴾	63
حديث ((يطوي الله السماوات يوم القيامة ثم يأخذهن بيده اليمنى...))	64
حديث ((إن الله يحمل السماوات يوم القيامة على أصبع))	64
آية ﴿والله محيط بالكافرين﴾	65
آية ﴿وجاء ربك﴾	66
حديث ((يتمثل الله عز وجل ذكره...))	66
حديث ((يكشفعن ساقه...))	68
اعتراض ابن حجر والجواب عنه	69
فتاوى الأئمة فى الصوت والحرف	72
مبحث الاستواء	
عقيدة ابن تيمية	77
التقويم لتحليل النصوص	
آية الاستواء	78
تأويل السلف لها	81
المقصود بالعلو	83
مقارنة بين تحليل ابن تيمية وتحليل الأشاعرة	85
عقيدة السلف فى عدم المكان لله	89
آية ﴿أأمنتم من السماء﴾	92
حديث ((ينزل ربنا إلى السماء الدنيا))	95
حديث ((أين الله))	96
أدلة العروج والرفع	100
نقد التحليل	100
حديث المعراج	103

الموضوع	الصفحة
نقد التحليل	103
حديث ((لقد حكم اليوم فيهم بحكم الله ... من فوق سبع سماوات))	106
قول عمر ((هذه امرأة سمع الله شكواها من فوق سبع سماوات)).......	107
حديث ((أين كان ربنا))..	108
حديث ((ربنا الذى فى السماء)).................................	110
حديث ((كم تعبد اليوم من إله...)).............................	111
قول ابن المبارك "في السماء السابعة على عرشه	111
أصناف العلماء الذين ينقل عنهم ابن تيمية..............................	113
كذابون..	113
قائلون بالتجسيم	114
قائلون بالتشبيه	114
غير متخصصين..	114
علماء ينكرون المجاز	115
علماء لا يعتد بروايتهم..	117
علماء مكذوب عليهم	118
علماء لا تدل عباراتهم صراحة	120
علماء لم يحققوا المسألة	120
تأويل السلف للنصوص	121
نسبة الاستواء إلى المالكية	126
نقد هذه النسبة..	126
فهرست المواضيع	133



